

قسم الآثار الفرقة الثانية- شعبة اثار اسلامية

المحاضرة الأولى عمارة عصر فاطمي - د. احمد سعيد عثمان بدر

مدينة القاهرة

كانت الفسطاط أولى عواصم مصر الإسلامية ،حيث أنشأها عمرو بن العاص عقب فتحه لمصر سنة ٢١هـ وظلت مركز السيادة طوال عصر الخلفاء الراشدين والدولة الأموية .

ولما تغلب العباسيون على الدولة الأموية أنشأ صالح بن علي والى مصر من قبل الخليفة العباسى أبو العباس السفاح مدينة العسكر سنة ١٣٣هـ لتكون مقراً للولاة والجند العباسيين ، وبعد انفراد احمد بن طولون بحكم مصر أسس لدولته عاصمة جديدة سنة ٢٥٦هـ هى مدينة القطائع.

بناء القاهرة :

وكان فى مقدمة ما عنى به الفاطميون ، شأنهم فى ذلك شأن من سبقهم من الأسرات الإسلامية ، اتخاذ قاعدة جديدة للحكم تحمل طابعهم ،وتتميز عما سبقها من عواصم مصر الإسلامية . لذا حرص جوهر ليلة وصوله الفسطاط فى ١٧ شعبان سنة ٣٥٨هـ (٧ يوليو سنة ٩٦٨ م) على إنشاء الحاضرة المرتقبة ، ويظهر أنه كان ينفذ رغبة من رغبات سيده المعز .

تسمية القاهرة :

وهنا ينشط القصاص كعادتهم ،فى نسج قصة طريفة اقترن بها بناء العاصمة الجديدة : فيروون أن جوهرًا نظر إلى السهل الرملي الواقع شمالى الفسطاط ، وكان خلوا من المباني إلا القليل الملحق بالبستان الكافورى ودير فسيح يطلق عليه دير العظام وحصن صغير يسمى بقصر الشوك فاخطت فيه مدينته ، وأحاطها بسياج من الأعمدة الخشبية ، وأوصلها جميعاً بالحبال ، التى تتدلى منها أجراس قصد بها أن تدق جميعاً فى لحظة واحدة ، عندما تعطى الإشارة بذلك ، لكى تكون إيذاناً بوضع الأساس.

وقد ترقبوا مرور كوكب ميمون الطالع ، فى سماء المدينة الجديدة ، ليوضع الأساس عند إشراقه تفاولا بمستقبل سعيد مرموق لها . ولكن حدث ما لم يكن فى الحسبان ، إذ حط فوق أحد الحبال غراب فدقت الأجراس لفورها فوضع العمال الأساس وفقاً للتعليمات المعطاة لهم ، واتفق أن ظهر فى تلك اللحظة كوكب المريخ قاهر الفلك كما يطلقون عليه فلما رفع الأمر للخليفة المعز عند قدومه إلى مصر فى ٥ رمضان سنة ٣٦٢ (١٠ يونيو ٩٧٢) وكان عالماً فى التنجيم وافق على نسبة المدينة الجديدة إلى كوكب القاهر وأضيف إليها اسم المعز فصارت تعرف باسم القاهرة المعزية أو قاهرة المعز.

ومهما يكن من أمر فليست هذه القصة وأمثالها بالشىء الجديد فى عالم العواصم والمدن القديمة ، فقليل منها من لم يقترن إنشاءه بقصة طريفة من هذا النوع.

أسوار القاهرة وأبوابها:

كان أول شئ بدأ به جوهر فى بناء العاصمة الجديدة بناء السور ، إذ كان المقصود بالمدن فى العصور الوسطى أن تكون قلاعاً حصينة ، يحتمي وراءها السكان ضد الغزاة الفاتحين ، وهذا ما حدا بالمقرئى أن

يذكر أن بناء القاهرة إنما قصد به أن تكون " منزل سكنى للخليفة وحرمة وجنده وخواصه ، ومعقل قتال يتحصن به ويلجأ إليه " .

وقد شغلت القاهرة أول الأمر قطعة من الأرض مساحتها ٣٤٠ فداناً على شكل مربع طول ضلعه ١٢٠٠ متر تقريباً ، وكانت تمتد من منارة جامع الحاكم شمالاً حتى باب زويلة جنوباً . وأحاطها جوهـر بسور من الطوب اللبن وكان طول اللبنة الواحدة حوالي ٦٠ سم وعرضها ٤٠ سم وكان السور متسع من أعلى بحيث يسمح بمرور فارسين متجاورين فوقه بحرية تامة .

ويحد المدينة من الشرق تلال المقطم ، ومن الغرب الخليج الكبير ، ومن الجنوب مدينة القطن .

ويفتح في هذا السور ثمانية أبواب هي بابى زويلة فى الجنوب ، وباب الفتوح وباب النصر فى الشمال ، وباب القراطين - الذى عرف فيما بعد بباب المحروق - وباب البرقية فى الشرق . وباب سعادة - ويقع فى موضعه الآن محكمة الاستئناف العليا - وباب الفرج ثم أضيف باب جديد هو باب القنطرة فى الغرب (وسمى كذلك لأن جوهرا بنى تجاهه على الخليج قنطرة) .

كان باب الفتوح أهم أبواب أسوار القاهرة ، ويقع فى منتصف الأسوار الشمالية ، وباب زويلة فى منتصف الأسوار الجنوبية ، وكان يصل ما بين هذين البابين الطريق الرئيسى الذى أطلق عليه بين القصرين (المعز حالياً) ، وكان هذا الطريق يقسم المعزية إلى قسمين متساويين تقريباً ، وكانت تشتمل على طريق رئيسى آخر يجتاز المدينة من الشرق إلى الغرب شمالي الجمع الأزهر ويصل ما بين أسوارها الشرقية من باب البرقية إلى أسوارها الغربية أمام باب سعادة .

كذلك قام جوهـر الصقلي بحفر خندق فى الجهة الشمالية من القاهرة المعزية فى عام ٣٦٠هـ/٦٧١م ، ثم حفر خندقاً آخر أمامه ، ونصب عليه باباً حديدياً يدخل منه ، كما أعاد حفر خندق فى القرافة جنوب مدينة الفسطاط ، وكان أن تحصن جوهـر بالقاهرة وأغلق أبوابها عندما هاجمها القرامطة فى ربيع الأول عام ٣٦١هـ/ ديسمبر ٩٧١م ، ولم يستطع القرامطة دخول المدينة ودار القتال عند الخندق . وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن السور قد أدى الغرض الذى شيد من أجله وقام بدوره ، كما يذكر المقرئى ليمنع اقتحام عساكر القرامطة إلى القاهرة ، وما وراءها من المدينة .

وقد أشار المقدسي إلى قوة تحصين القاهرة المعزية بقوله أن " بها جامع بهي وقصر السلطان وسطها ، محصنة بأبواب محددة على جادة الشام ولا يمكن أحد دخول الفسطاط إلا منها لأنها بين الجبل والنهر " .

جددت أسوار وبوابات القاهرة فى أيام الخليفة الفاطمي المستنصر بالله على يد أمير الجيوش بدر الجمالي ، وقد بدأ العمل فيها عام ٤٨٠هـ/١٠٨٧م ، وتم بناؤها عام ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ، وتقول الروايات أن بدر الدين الجمالي جلب ثلاثة أخوة من المهندسين الأرمن لبناء البوابات الجديدة والتي بنيت على بعد يتراوح بين ٢٥٠ - ١٥٠ مترًا عن مواقع البوابات القديمة كما أطلق عليها نفس الأسماء القديمة ، وكان من نتيجة هذه الزيادة فى الجهة الشمالية أن أصبح جامع الحاكم بأمر الله داخل القاهرة المعزية بعد أن كان خارجها .

شيد أمير الجيوش هذه الأسوار الجديدة في معظمها من الحجارة وقد تخلف من أبواب بدر الجمالي ثلاثة أبواب جديدة من الحجر هي باب النصر وباب الفتوح شمالاً وباب زويلة جنوباً ، وما تزال هذه الأبواب قائمة إلى اليوم ، كذلك تخلف من أسوار بدر الجمالي الجزء الذي يصل بين بوابتي النصر والفتوح شمالاً وجزء يمتد حوالي خمسين متراً إلى الجنوب من بوابة النصر ، وجزء آخر يمتد حوالي مائة متر إلى غرب بوابة الفتوح ، ويصل هذه الأسوار جميعاً بالبوابات ممر مقبى فتحت فيه فتحات لرمي السهام، أما الطابق الثالث فهو مكشوف أقيمت على حافته العلوية دراوي .

وتتميز بوابات بدر الجمالي بضخامتها سواء من حيث المساحة التي تشغلها كل بوابة ، وهي حوالي ٢٥ متراً مربعاً ، أو من حيث ارتفاعها الشاهق الذي يزيد عن عشرين متراً ، أو من حيث الكتل الحجرية التي استخدمت في بنائها .

ويمتاز بانيان هذه الأسوار بكتلها الحجرية المصقولة مسطحاتها ، المنتظمة صفوفها ، والتي يبلغ عددها من أسفل الجدار إلى قمته حوالي أربعين مدماكاً رصت فيها الأحجار بعناية فائقة ، وتمتاز باستخدام عمد من الحجارة وضعت أفقياً في باطن الجدران لكي تزيد البناء ثباتاً وقوة وتضيف إلى هيئته رونقاً ، فقد أنشأت القاهرة حصناً ومعقلاً للدولة الفاطمية وفي ذلك يذكر المقرئزي ما نصه عند ذكره القاهرة المعز لدين الله " إلى أن قدم القائد جوهر بعساكر مولاه الإمام المعز لدين الله معه فبنى القاهرة حصناً ومعقلاً بين يدي المدينة وصارت القاهرة دار الخلافة ينزلها الخليفة بحرمه وخواصه".

الأسوار والأبواب الباقية:

باب النصر:

يعد باب النصر أول باب أقامه بدر الجمالي في الأسوار الجديدة ، ويقع بالأسوار الشمالي ويُعرف أيضاً باب المعز، وقد بدأ البناء فيها عام ٤٨٠هـ/١٠٨٧م ، ويحتوي هذه الباب على نقش كتابي كوفي منحوت على الحجر به تاريخ البناء "بدئ بعمله في محرم سنة ثمانين وأربعمائة".

ويقع هذا الباب على بعد ٢٥٠ متراً تقريباً عن باب الفتوح .

ويبلغ عرض الكتلة البنائية للباب ٢٥ متراً وعمقها ٢٥ متراً وارتفاعها عن المستوى الأصلي لعبية الباب ٢٥ متراً أيضاً ، ويبرز ثلث الكتلة تقريباً عن سمت السور . والجزء البارز عبارة عن برجين بزوايا قائمة شبه مربعين ويحصران بينهما ممراً مكشوفاً يؤدي إلى باب المدخل ثم إلى دركاة مربعة مسقوفة بقبو متقاطع ، وثلثا ارتفاع الباب بناء مصمت، وتعلو البرجين حجرتان كل منهما مغطاة بقبة ضحلة ويجدرانها مزاغل للسهم .

ويعلو فتحة الباب عتب مستقيم مرتفع قليلاً من وسطه ويتكون من صنجات معشقة يعطوه عقد عاتق يقع في دخلة يعلوها عقد دائري . ويوجد فاصل بعرض الدخلة بين واجهة الباب والعقد الدائر ويصل إلى أرضية السطح أعلى المدخل ويستخدم كسقاطة تكشف الواقف عند الباب ، وتساعد في رد المهاجمين .

ويلتصق ببرج باب النصر في الجانب الجنوبي الشرقي برج كبير بداخله سلم حلزوني من الحجر . ويوجد على الواجهة في مستوى الطابق الثاني نحت يمثل دروع بارزة بزخارف هندسية متشابكة . وقد وسعت مزاغل السهام أعلى الباب في عهد الحملة الفرنسية لاستخدامها للمدافع .

وتتوسط واجهة الطابق الثاني بباب النصر صرر ودوائر منحوتة بارزة ، ويتوسط العقد الذي يعلو فتحة البوابة لوحة حجرية نقشت عليها ثلاثة أسطر من كتابة كوفية نصها " لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله علي ولي الله".

باب الفتوح:

أمر بدر الدين الجمالي ببناء باب الفتوح أو باب الإقبال كما كان يطلق عليه أيضًا ، على بعد ١٥٠ مترًا من موقع باب الفتوح القديم في أسوار جوهر ، ويبلغ عرض الكتلة البنائية للباب نحو ٢٣ مترًا وعمقها ٢٥ مترًا وارتفاعها عن المستوى الأصلي لعتبة الباب نحو ٢٢ مترًا . ويبرز ثلث الكتلة تقريباً عن سمت السور وهو عبارة عن برجين مقوسين ، يحصران بينهما ممراً مكشوفاً يؤدي إلى باب المدخل ثم إلى دركاة مربعة مغطاة بقبة ضخمة مقامة على مثلثات كروية .

وثلاثا ارتفاع الباب بناء مصمت ، يليه حجرتان مغطتان بأقبية متقاطعة وبجدرانها مزاغل لرمي السهام . وبأعلى كتلة البرج شرفات بنهايات دائرية .

ويعلو فتحة الباب عتب مستقيم من صنجات مرتفعة معشقة يرتفع قليلاً عند الوسط، يعلوه عقد عاتق ، ويقع العقدان في دخله غائرة ، يعلوها عقد دائري بحافة عريضة مشطوية تزخرفها معينات غائرة مملوءة بزخارف نباتية وهندسية . ويوجد فاصل بعرض الدخلة بين واجهة الباب والعقد الدائري يصل إلى أرضية السطح أعلى المدخل ويستخدم كسقاطة تكشف الواقف عند الباب وتساعد في رد المهاجمين .

ويربط بين الحجرتين بأعلى برجى الباب بناء عبارة عن مقعد واجهته بها خمس فتحات معقودة ويبرز هذا البناء عن واجهة مدخل الباب أسفله وتحمله ثمانية كوابيل حجرية ويتميز اثنان منهم بأنه على شكل رأس الكبش وينفرد باب الفتوح بوجود ممر داخل جوف السور.

المسافة بين باب النصر وباب الفتوح:

بقيت هذه المسافة من السور الشمالى ، وتتميز بوجود سقاطة وهى عنصر معمارى دفاعى عبارة عن شرفة مغلقة الواجهة بارزة بها فتحات ضيقة لرمى السهام وبأرضيتها ثقب لإلقاء الزيت المغلي والمواد الحارقة على رعووس المهاجمين.

والى الغرب من هذه السقاطة برج كبير ، مستطيل المساحة يتكون من ثلاث طوابق مزودة بفتحات للمزاغل ، ولها سلالم تؤدي إليها.

والى الغرب من هذا البرج الكبير برج آخر مستطيل المساحة مساحته أصغر ، وهذه الأبراج تستخدم أيضاً لإقامة الحامية العسكرية المدافعة عن السور.

ويعلو الحافة العلوية من السور درواى لحماية المدافعين عن المدينة ، ولإطلاق السهام.

ويتصل باب النصر بباب الفتوح بواسطة ممر مغيب مقبى مبني فى سمك السور يسمح بتحريك الجنود المدافعين عن المدينة دون أن يراهم من الخارج، وبه فتحات للمزاغل.

باب زويلة:

شيد بدر الدين الجمالي السور الجنوبي للقاهرة على بعد ١٥٠ متراً من أسوار جوهر الصقلي وعرف الباب الجنوبي بباب زويلة ثم أطلق عليه في العصور المتأخرة بوابة المتولي.

يبلغ عرض الكتلة البنائية للباب ٢٦ متراً وعمقها ٢٥ متراً وارتفاعها ٢٤ متراً عن المستوى الأصلي لعتبة الباب والتي تنخفض ٣.٥ متر تقريباً عن المستوى الحالي .

ويبرز نحو ثلث كتلة الباب عن سمت السور وهو عبارة عن برجين مقوسين مثل باب الفتوح، ويحصر البرجان بينهما ممراً مكشوقاً يؤدي إلى باب المدخل ثم إلى دركاه مربعة مغطاة بقبة ضحلة مقامة على مثلثات كروية، وثلاثا ارتفاع الباب بناء مصمت ، يليه حجرتان كان يغطي كل منهما قبوان متقاطعان ، غير أن المؤيد شيخ استغل برجى الباب كأساس لمئذنتي مسجده فخرق الجزء الأوسط من أقبية كل من الحجرتين وشيد القاعدتين المربعيتين للمئذنتين فوق الكتلة الصماء لكل من البرجين ثم ارتفع بها إلى أعلى سطح الحجرة وأكمل باقي دورات المئذنة .

وتقع فتحة الدخول بين البرجين يعلوها عتب مستقيم من صنجات معشقة مرتفع قليلاً عند الوسط ويعلوه عقد عاتق يقع في دخلة غائرة يعلوها عقد دائري بحافة عريضة مشطوفة . ويوجد فاصل بعرض الدخلة بين واجهة الباب والعقد الدائري ويصل إلى أرضية السطح أعلى المدخل ويستخدم كسقاطة تكشف الواقف عند الباب وتساعد في رد المهاجمين .

ويربط بين الحجرتين بأعلى برجى الباب بناء عبارة عن مقعد واجهته مفتوحة بعقد كبير دائري .

ويعلو بناء الباب شرفات بنهايات دائرية مثل شرفات باب الفتوح.

وينفرد باب زويلة بتفاصيل زخرفية لا شبيه لها في الأبواب الأخرى أهمها في جانبي البرجين على الممر

ومن الجدير بالذكر أن السلطان المؤيد شيخ أقام في البرج الغربي مقعداً مقبباً مرتفعاً عن الطريق ومتصلاً بظلة مسجده ، ليجلس فيه ويشرف على المارين في المواسم والأعياد .

وتشترك أبواب بدر الدين الجمالي في أنها مبنية بأحجار كبيرة مصقولة جيدة النحت ، وفي وجود أعمدة مستديرة على ارتفاع ستة مداميك تقريباً وضعت أفقياً بعرض الجدران للربط بين الواجهات الحجرية ولتزيد من متانة ومقاومة البناء ، وهذا الأسلوب فيه تأثيرات رومانية وبيزنطية .

القصر الشرقي الكبير :

اختط جوهر بوسط المدينة ، قصرًا كبيراً لإقامة المعز عند قدومه إلى مصر ، أطلق عليه اسم القصر الشرقي الكبير ، وكل ما نعلمه عن ذلك القصر مستمد من المصادر التاريخية ، إذ لا أثر له اليوم ، وكان يمتد من الموضع الذي يوجد به المشهد الحسيني الآن إلى الجامع الأقمر تقريباً ، وكانت له تسعة أبواب :

ففى الناحية الشرقية كانت توجد أبواب العيد والزمرد وقصر الشوك ، وفى الناحية الغربية كانت توجد أبواب البحر والذهب والزهومة ، وفى الناحية القبليّة كانت توجد أبواب تربة الزعفران والديلم ، وفى الناحية البحرية كان يوجد باب واحد هو باب الريح .

وكانت أسماء هذه الأبواب تدل على معان خاصة ، فسمى باب العيد كذلك لأن الخليفة كان يخرج منه فى يومى العيد إلى المصلى التى كانت خارج باب النصر ، وموضع هذا الباب اليوم بشارع قصر الشوك . وباب الزمرد كان يتوصل منه إلى قصر الزمرد . وباب البحر كان يخرج منه الخليفة عندما يقصد التوجه إلى شاطئ النيل بالمقس (رمسيس حالياً) . وباب الذهب كانت تدخل منه المواكب وجميع رجال الدولة وكان تجاه اليمارستان المنصوري ويقال أنه كان من الذهب الخالص . وباب الزهومة : وسمى كذلك لأنه كان باب مطابخ القصر فتمر منه اللحوم وحوائج الطعام فتنبعث منه رائحة اللحوم . وكان يتوصل من باب قصر الشوك إلى القصر المسمى بهذا الاسم " قصر الشوك " وباب التربة كان يتوصل منه إلى مقابر الخلفاء التى كانت داخل القصر . وباب الريح يظهر أنه سمي كذلك لهبوب رياح الشمال الرطبة من خلاله لوقوعه فى الواجهة البحرية للقصر . وباب الديلم كان يدخل منه إلى المشهد الحسيني من شرقيه.

وكان يتألف هذا القصر من مجموعات معمارية تخرقها طرقات ومسالك تفضى الى أجزائه المختلفة فوق الأرض أو فى سراديب مارة تحت الأرض ، وكانت تضيئه الرحبات الكبيرة غير المسقوفة ، أو الأفنية الداخلية الصغيرة.

وقد نقل لنا (غليوم) رئيس أساقفة صور وصفاً للقصر فى اطار حديثه عن زيارة رسولي الملك عمورى (أمريك) ملك بيت المقدس للخليفة العاضد سنة ٥٦٢هـ / ١٦٧م حيث يقول "وسار السفراء الفرنج يقودهم الوزير شاور بنفسه الى قصر له رونق وبهجة عظيمان ، وفيه زخارف أنيقة نضيرة.....ووجدوا فى هذا القصر حراساً عديدين ، وسار الحرس فى طليعة الموكب وسيوفهم مسلولة ، وقادوا الفرنج فى دهايز طويلة ضيقة ، وأقبية حالكة الظلمة ، لا يستطيع إنسان أن يتبين فيها شيئاً.....ولما خرجوا الى النور أعترضتهم أبواب كثيرة متعاقبة ، وكان يسهر على كل منها عدد من الحراس المسلحينثم وصل الموكب الى فناء مكشوف ، تحيط به أروقة ذات عمد ، وأرضيته مرصوفة بأنواع الرخام متعددة الألوان ، وفيها تذهيب خارق للعادة بنضارته وبهائه ، كما كانت ألواح السقف تزينها الزخارف الذهبية الجميلةوكان فى وسط الفناء نافورة يجرى الماء الصافى منها فى أنابيب من الذهب والفضة إلى أحواض وقتوات مرصوفة بالرخاموكانت ترفرف فى الفناء أنواعاً لا حد لها من الطيور الجميلة ، ولم يكن أحد يرى هذه الطيور دون أن تصيبه الحيرة والدهشة إعجاباً بها ومن هذا الفناء سار الموكب الى أفنية عديدة أشد جمالاً وإبداعاً، ثم الى بستان لطيف رأوا فيه أنواعاً عديدة من الحيوانات ذات الأربع .

وبعد أن عبروا أبواباً عديدة أخرى ، وساروا فى تعاريج كثيرة ، وصلوا الى القصر الكبير حيث يقطن الخليفة . وقد فاق هذا القصر كل ما رأوه من قبل ، وكانت أفنيته تفيض بالمحاربين المسلمين ، متقلدين أسلحتهم وعليهم الزرد والدروع تلمع بالذهب والفضة ، ثم أدخل المبعوثون فى قاعة واسعة ، تقسمها ستارة

كبيرة من خيوط الذهب والحريز المتعددة الألوان ، وعليها رسوم الحيوان والطيور وبعض المناظر الأدمية ، وكانت تلمع بما عليها من الياقوت والزمرد والأحجار الكريمةوالخليفة جالس على عرش من الذهب المرصع بالجواهر والأحجار الثمينة."

تحف القصر الكبير وطرائفه :

وقد زاد الخلفاء المتعاقبون من قاعات القصر الشرقى وأبهائه ، وأفرطوا فى تزيينه وزخرفته وحشدوا فيه من التحف والطرائف ما لا يكاد يصدق العقل . وقد جمعوا كل ذلك فى خزائن كان بعضها فى داخل القصر والبعض الآخر فى مبان ملحقة به ، وكان يقوم على حفظها والعناية بمحتوياتها خدم وموظفون اختصوا بهذا العمل وحده.

وقد وصف المقرئ فى خطه تلك الخزائن ومحتوياتها وصفاً مسهباً ، ومن هذه الخزائن : خزائن السلاح ، وخزائن الكتب ، وخزائن الكسوات ، وخزائن الجواهر والطيب والطرائف ، وخزائن الفرش والأمتعة ، وخزائن السروج ، وخزائن الخيم ، وخزائن الشراب ، وخزائن التوابل.

القصر الغربى الصغير :

وشيد العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله قصراً آخر غربى القصر الكبير لذا سمي بالقصر الغربى الصغير ، ويشغل مكانه اليوم مستشفى قلاوون للرمم وكل المساكن التى تجاوره إلى شارع الخليج ، لذا عرف أيضاً بقصر البحر بالإضافة إلى اسم القصر الغربى ، وكان يشرف على البستان الكافورى .

وقد وصف المسبحى هذا القصر بقوله " لم بين مثله فى شرق ولا فى غرب " وكان له أيضاً عدة أبواب أهمها باب السباط ، وباب التبايين ، وباب الزمرد.

وكان يتصل بالقصر الشرقى بواسطة سرداب تحت الأرض كان ينزل منه الخليفة ممطياً بغلته ، تحيط به فتيات القصر عندما ينتقل من القصر الشرقى إلى القصر الغربى ، متخفياً عن أعين الناس.

وكان بين القصر الشرقى والقصر الغربى ميدان متسع ، يقف فيه عشرة آلاف من العساكر ، ما بين فارس وراجل ، يطلق عليه ما بين القصرين.

وقد نمت القاهرة وعلا شأنها وازداد عمرانها ، وتعددت أبنيتها ، فأعجب بها الرحالة الفارسي ناصر خسرو الذى زار مصر ما بين سنتي ٤٣٩ - ٤٤١ هـ (١٠٤٧ - ١٠٤٩ م) فذكر أن حوائطها لم تقل عن عشرين ألفاً ، وخاناتها وحماماتها لا يمكن حصرها ، وأبنيتها أعلى من الأسوار الحصينة ، وفى كل منها خمس أو ست طبقات ، وكانت البيوت فى المدينة مبنية بناء نظيفاً محكماً ، وكانت مفصولة بعضها عن بعض بحدائق ترويه مياه الآبار.

المناظر :

وكان للخلفاء الفاطميين مناظر كثيرة بالقاهرة ومصر والروضة والقرافة وبركة الحبش وظواهر القاهرة ، وهى عبارة عن بساتين أشبه شئ باستراحة الملوك فى عصرنا الحاضر ، أثبتت بأفخر الأثاث والرياش ، وأحيطت بأجمل المناظر وأبهائها خصوصاً تلك التى كانت تقع على النيل أو الخليج الكبير .

وكان يقصدها الخلفاء للنزهة والتريض ، أو حضور الاحتفالات أيام المواسم والأعياد ، أو المناسبات الخاصة كتوديع الجيش والأسطول أو استقبالهما .

وكان فى تلك المناظر بناء عال يرتقيه الخليفة ، ليرى ما يدور حوله دون أن يراه أحد ، فإذا كان الوقت ليلاً أوقدت فيه النيران ليرى على ضوءها المنظر جميعه ومن هنا جاءت تسمية البناء المفرد بالمنظرة.

المحاضرة الثانية -عمارة عصر فاطمي -الفرقة الثانية شعبية اثار اسلامية- د احمد سعيد عثمان

الجامع الأزهر

الموقع :

يقع الجامع الأزهر جنوب شرق القاهرة الفاطمية ، وكان على مقربة من القصر الشرقي الكبير ، فيما بين حى الديلم فى الشمال وحى الترك فى الجنوب.

وهو اليوم فى منطقة من أهم المناطق الأثرية والسياحية بالقاهرة وعلى مقربة من مسجد الحسين وشارع المعز بما يحتويه من آثار وعمائر اسلامية من مختلف العصور التى مرت بها مصر.

المنشئ وتاريخ الإنشاء:

شرع جوهر الصقلئ قائد الخليفة الفاطمى المعز لدين الله فى بناء الجامع الأزهر فى ٢٤ جمادى الأول سنة ٣٥٩ هـ (٩٧٠ م) واكمل بناؤه وبدأت فيه الصلاة فى رمضان سنة ٣٦١ هـ (٩٧٢ م).

سبب التسمية:

هناك آراء كثيرة حول سبب تسمية هذا الجامع بالأزهر منها : نسبة للسيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو نسبة للقصور الزاهرة التى بنيت حين أنشئت القاهرة ، أو تفاولاً بما سيكون عليه من الشأن والازدهار فى العلوم ، غير اننى أرجح أنه نسبة للون الأبيض المزهر الذى كان مطلباً به وقت انشائه ، وهو اللون المنتشر حتى الآن فى عمائر تونس وشمال أفريقيا حيث نشأت الدولة الفاطمية وتأثرت بالعمارة الاسلامية هناك ووفدت العديد من العناصر المعمارية الى مصر من هذه المناطق على يد الفاطميين ، وظهرت واضحة فى مبانيهم الدينية بصفة خاصة ، كالمجاز القاطع ، والمداخل البارزة ، وبناء القباب أعلى المحراب وعلى طرفى بلاطته وغيرها ، ومنها هذا اللون الأبيض المزهر الذى سمي الجامع نسبةً إليه.

الهدف من البناء:

كان الهدف من بناء الأزهر بالإضافة الى كونه المسجد الجامع للمدينة الجديدة (القاهرة) أن يكون مركزاً للدعوة الشيعية فى مصر خاصةً أن مصر كانت سنية المذهب فهم يحتاجون الى مركز لنشر مذهبهم وآرائهم الدينية والفقهية.

التخطيط والإضافات عبر العصور:

كانت مساحة المسجد وقت الإنشاء نصف مساحته الحالية تقريباً ، فكان مستطيل الشكل تبلغ مساحته ٨٥ طولاً و ٧٠ عرضاً ، وكان يتكون من صحن مكشوف سماوى طوله ٥٩ متراً وعرضه ٤٣ متراً ، تحيط به ثلاث ظلات أكبرها وأعمقها ظله القبلة وكانت تتكون من خمس بلاطات يفصلها بائكات تحمل عقوداً مدببة تسير موازية لجدار القبلة ، ويتوسط هذه الظلة مجاز قاطع ممتد من الصحن ومتعامد على المحراب الموجود فى منتصف جدار القبلة حيث توجد فى نهاية هذا المجاز قبة تعلو المحراب ، كما توجد قبتان بطرفى بلاطة المحراب.

وكان سقف المجاز القاطع أعلى من سقف الظلة ، يرتكز على عقود تقوم على أعمدة مزدوجة ، وقد زخرفت اطارات العقود بأشرطة كتابية بالخط الكوفي تحتوي على آيات قرآنية وكذلك زخارف نباتية موزقة.

وهنا يظهر المجاز القاطع لأول مرة فى عمارة المساجد فى مصر ، ولعله من بين التأثيرات التى وفدت الى مصر من شمال أفريقيا مع قدوم الفاطميين اليها.

أما الظلتان الجانبيتان (الجنوبية الغربية - الشمالية الشرقية) فتتكون كل واحدة من ثلاث صفوف من الأعمدة ولكن عقودها تسير عمودية على الجدار ، عدا البائكة المظلة على الصحن فإن عقودها موازية.

أما الجانب الشمالى الغربى فكان يخلو من الظلات ويتوسطه المدخل الرئيسى للمسجد ، والمرجح أنه كان مدخلاً بارزاً على مثال جامع الحاكم بأمر الله ، وأنه كانت تعلوه مئذنة رشيقة قصيرة.

كما كان هناك أيضاً مدخلان - إلى جانب المدخل الرئيسى - احدهما بالجهة الشمالية الشرقية والآخر بالجهة الجنوبية الغربية.

وكان يزين أعلى جدران المسجد شبابيك من الجص المفرغ بأشكال هندسية ، تتخللها مضاهيات مزخرفة ، ويتوجها جميعاً أشرطة كتابية تحتوى على آيات قرآنية بالخط الكوفي الذى شاع فى العصر الفاطمى ، وما تزال آثار تزين جدران ظلة القبلة.

ثم توالى أعمال الإضافات والتجديدات على الجامع الأزهر فى عصور متتالية.

ففى عام ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م) أمر الحاكم بأمر الله بتجديد مئذنة الجامع وترميم المسجد بصفة عامة ، وبقي من تلك الأعمال باب خشبي بمصراعين نقش فيه كتابه بالخط الكوفي نصها " مولانا أمير المؤمنين الإمام الحاكم بأمر الله صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه " .

وفى عام ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م أمر الأمر بأحكام الله بصنع محراب متحرك من الخشب زخرف بالنقوش وفى طرفيه عمودان يحملان لوحة نقش فيها بالخط الكوفي " بسم الله الرحمن الرحيم حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين " .

وفى سنتى ٥٢٥ - ٥٤٤ هـ / ١١٣٠ - ١١٤٩ م فى عهد الحافظ لدين الله أدخلت تعديلات متنوعة على الجامع الأزهر منها مقصورة فى جوار الباب الشمالى الغربى ، كما أضيفت بلاطة تدور حول الصحن الداخلى للمسجد من الجوانب الأربعة وقبة على رأس المجاز من جهة الصحن وقد حفلت جوانب هذه القبة على الزخارف والآيات القرآنية بالخط الكوفي ، وهى من أجمل الكتابات التى وصلتنا من العصر الفاطمى.

وبهذه الإضافة التى تمت فى عهد الخليفة الحافظ لدين الله الفاطمى أصبح الجامع الأزهر يتكون من صحن أوسط مكشوف سماوى يحيط به أربع ظلات فقد احتوت الجهة الشمالية الغربية - التى كانت خالية - على ظلة عبارة عن رواق واحد هى تلك التى أضافها الخليفة الحافظ.

وبالرغم من أعمال الإضافات المتعددة التى تمت فى الجامع الأزهر فإنه لايزال يحتفظ حتى الآن بأجزاء مهمه وعناصر معمارية وزخرفية من العصر الفاطمى وهى:

* عقود المجاز القاطع الأربعة الأولى من الجانبين وما اشتملت عليه من زخارف وكتابات كوفية وهى يعود لزمان الانشاء على يد جوهر الصقلى.

*الزخارف المحيطة بالشبابيك الجصية الباقية بأول ظلة القبلة القديمة من الناحية الجنوبية وكذلك فى الجانبين الشرقي والغربي منها وهى عبارة عن كتابات كوفية وترجع الى عصر جوهر.

*المحراب الأصيل للجامع حيث أنه رغم الإضافات فقد تم الاحتفاظ به على شكل جزء من حائط أو دعامة كبيرة حتى اكتشفه حسن عبد الوهاب سنة ١٩٣٣م بعناصره الزخرفية من كتابات ونقوش.

*الزخارف والكتابات بمؤخر الجامع من داخل ظلة القبلة وهى تتشابه مع مثيلاتها بجامع الحاكم لذا ربما كانت من أعمال الحاكم بأمر الله فى الجامع الأزهر.

*القبة التى أضافها الحافظ لدين الله بأول المجاز ضمن الاصلاحات والإضافات التى قام بها.

وخلال العصر الأيوبي أهمل شأن الجامع الأزهر باعتباره رمزاً للخلافة الفاطمية الشيعية التى أسقطها صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م وأعاد مصر إلى المذهب السني مذهب الخلافة العباسية ، فقد أبطل صلاح الدين صلاة الجمعة بالأزهر ونقلها إلى جامع الحاكم بأمر الله .

غير أن الأزهر استعاد مكانته فى العصر المملوكى لا سيما فى عصر السلطان الظاهر بيبرس الذى رمم جدران الجامع وأصلح سقوفه وبلاطه ، وعمل له منبراً ، وغطى طاقية المحراب بكسوة خشبية ، ثم كسى المسجد وفرشه حتى عاد اليه رونقه من جديد ، وقد بقى من هذه الأعمال:

• الكسوة الخشبية التى كانت تغطى طاقية المحراب الفاطمي.

• الشرافات المسننة التى تطلو الجدران المحيطة بصحن المسجد من الداخل.

• اللوحة التذكارية التى كانت على المنبر ، والموجودة حالياً بمتحف الجزائر وتتضمن كتابات بخط الثلث المملوكى نصها " بسم الله الرحمن الرحيم مما أمر بعمل هذا المنبر المبارك لجامع الأزهر مولانا السلطان الملك الظاهر المجاهد المرباط المؤيد المنصور ركن الدنيا والدين أبو الفتح بيبرس الصالحى قسيم أمير المؤمنين بالديار المصرية أعز الله أنصاره بتاريخ الثالث عشر من ربيع الأول سنة خمس وستين وستمائة من الهجرة النبوية " .

كما استحدث به الأمير بيلبك الخازندار مقصورة كبيرة عين فيها بعض الفقهاء لتعليم الفقه على مذهب الامام الشافعي ، وعين كذلك محدثاً لقراءة الحديث النبوي ، ومن هنا بدأ دور الأزهر فى تعليم الدين الاسلامي وفق المذهب السني.

وفى سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٣م ضرب القاهرة زلزال شديد تسبب فى تصدع عدد من المساجد ومن بينها الجامع الأزهر فبادر الأمراء المماليك إلى تجديد تلك المساجد المتضررة وذلك فى عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الذى كان عاشقاً للعمارة والبناء ، وكان المشرف على اصلاح الأزهر الأمير سلار نائب السلطنة.

وفى عهد الناصر محمد أيضاً ألحق بالجامع الأزهر مدرستان : الأولى المدرسة الطيبرسية الواقعة على يمين الداخل من الباب المعروف بباب المزينين بميدان الأزهر والتى أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس نقيب الجيوش فى دولة الناصر محمد بن قلاوون ، وقرر بها دروساً للفقهاء الشافعية ، وألحق بها ميسأة وحوضاً لسقى الدواب ، وتم إنشاؤها سنة ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م ، ويؤثر عن الأمير علاء الدين طيبرس أنه عند الانتهاء

من البناء قدم إليه المشرفين على العمارة حساب المصروفات فطلب طسناً به ماء وغسل أوراق الحساب دون أن يراجعها وقال "شئ خرجنا منه لله تعالى لا نحاسب عليه".

والمدرسة الثانية المدرسة الأقبغاوية والتي أنشأها الأمير أقبغا عبد الواحد سنة ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م وجعل بجوارها قبة ومنارة من حجارة وتقع المدرسة على يسار باب المزينين مواجهة للمدرسة الطيرسية.

وجددت عمارة الأزهر أيضاً على يد الطواشي سعد الدين بشير الجمدار الناصري ، حيث أزال المقاصير الكثيرة والخزائن التي استحدثت بالجامع وضاق بها المكان ، وأصلح جدران المسجد وسقوفه وطلاه وبلطه ، وأنشاء سبيلاً وكتاباً بجوار باب الجامع القبلي - غير موجودين حالياً - وقرر بالجامع دروساً لفقهائ الحنفية وقارء للقرآن ، وجعل لفقراء المجاورين طعاماً يطبخ كل يوم ، ووقف على ذلك أوقافاً كثيرة.

ويفهم من المصادر التاريخية أن مئذنة الجامع الأصلية هدمت سنة ٨٠٠هـ / ١٣٩٧م فجرى بناء غيرها لكنها تهدمت أكثر من مرة ، حتى بناها السلطان برسباى سنة ٨٢٧هـ / ١٤٢٤م وأنشاء بصحن المسجد صهريجاً تعلوه قبة ذات رقبة مرتفعة يسيل منها الماء أشبه ما يكون بالنافورات حالياً.

وبنيت مدرسة ثالثة ملحقة بالجامع الأزهر وتقع بالجهة الشمالية الشرقية حالياً أنشأها الأمير جوهر القنقبائى خازندار السلطان الأشرف برسباى ودفن بها سنة ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م وهى مدرسة صغيرة عبارة عن صحن وأربعة ايوانات ، وملحق بها قبة ضريحية حجرية تمتاز بزخارفها النباتية المورقة على سطحها الخارجي.

وفى سنة ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م اعتنى السلطان الأشرف قايتباى بالجامع الأزهر فجدد بابيه العمومى الواقع بين المدرستين الطيرسية والأقبغاوية والذي يؤدى مباشرة إلى صحن الجامع، وهو الموجود حالياً والمسجل على جانيه اسم السلطان وتاريخ الانتهاء من البناء ، كما بنى المئذنة القائمة الآن إلى يمين هذا الباب ، وهى مئذنة حافلة بالنقوش والكتابات ، تتكون من ثلاثة طوابق ، وتنتهى بقمة على الطراز المملوكي.

ويبدو ان عناية قايتباى كانت متصلة بالأزهر فقد زاره سنة ٨٨١هـ / ١٤٧٧م وأمر بتجديده وترميمه ، كما أمر بهدم الخلاوى التى بسطحه العلوي ، وتجديد دورة المياه ، ومازال هناك رنك كتابي على بابها يحمل اسمه.

وفى عهد قايتباى أيضاً قام الخواجا مصطفى بن محمود بن رستم الرومي ببعض الاصلاحات بالمسجد بقى منها مقصورة خشبية تحيط بالأروقة الشمالية والجنوبية والشرقية من جهة الصحن ، مسجل عليها بخط الثلث المملوكى "أمر بتجديد هذا الجامع سيدنا ومولانا السلطان الملك الأشرف قايتباى على يد الخواجا مصطفى بن الخواجا رستم غفر الله لهم بتاريخ رجب عام احدى وتسعمائة" ، وقد بلغ مجموع ما أنفق فى هذه الاصلاحات خمسة عشر ألف دينار.

كما بنى السلطان قانصوة الغورى مئذنة عالية تنتهى برأسين على الطراز المملوكى وفيها سلمان من الداخل وذلك سنة ٩١٥هـ / ١٥٠٩م وهى المئذنة الشهيرة بالجامع الأزهر والمميزة له حالياً ، وينسب إلى الغورى أيضاً تجديد القبة التى تعلو المحراب الفاطمي.

وقد استمر الاهتمام بالجامع الأزهر خلال العصر العثمانى حيث اهتم الولاة العثمانيون بترميم وتجديد المسجد وأوقفوا عليه أوقافاً كثيرة.

ففى سنة ١٠١٦هـ / ١٦٠٥م قام الوالى حسن باشا برصف الجامع بالبلاط وأنشأ رواق اليمن .

وفى سنة ١١٤٨هـ / ١٧٣٥م بنى عثمان باشا زاوية للعميان خارج الأزهر أمام المدرسة الجوهريّة وقد هدمت فيما بعد ، كما بنى رواق الأتراك ورواق الأفغان .

وفى سنة ١١٦٣هـ / ١٧٤٩م أهدى الوزير أحمد باشا كور والى مصر الى الجامع مزولتين ، ما زالت احدهما مثبتة فى أعلى الواجهة الغربية المطلة على الصحن ومدون عليها أبيات من الشعر تنتهى بحساب الجمل نصها :

مزولة متقنة	نظيرها لا يوجد
راسمها حاسبها	هذا الوزير الأمجد
تاريخها أتقنها	وزير مصر أحمد

والمزولة الثانية كانت على سطح الجامع ، وموجودة حالياً داخل المكتبة ، وقد أورد الجبرتي بصدد هذه الهدية ، أن هذا الوالى قد تعلم صناعة المزاول على يد والده الشيخ حسن الجبرتي حتى أتقنها .

غير أن الزيادة الهامة والمؤثرة فى التخطيط العام للجامع الأزهر والتي تمت خلال العصر العثمانى كانت تلك التى قام بها عبد الرحمن كتحدا فى سنة ١١٦٧هـ / ١٧٥٣م إذ هدم جدار القبلة وأضاف للمسجد أربعة أروقة من الجهة الجنوبية الشرقية تسير عقود بوائكها موازية للجدار ، وبنى جداراً للقبلة بهذه الزيادة يحتوى على المحراب الجديد وتعلوه قبة ، فى حين أنه أبقى على المحراب القديم فى مكانه بين جزئين من الحائط القديم ، وأضاف أيضاً عبد الرحمن كتحدا منبراً بهذه الزيادة ، كما أنشأ باب الصعايدة وأقام فوقه مكتباً لتعليم الأطفال القرآن الكريم ، وفى داخل الباب أقام صهريجاً داخل رحبة كبيرة مع سبيل ماء ، وفى الرحبة نفسها بنى لنفسه مدفنًا تغطيه قبة ، وجعل بها رواقاً للصعايدة المنقطعين للعلم بالأزهر ، وبنى بجوار هذا الباب منذنة ، كما بنى باب آخر جهة مطبخ الجامع سمى باب الشورية وبجواره منذنة أيضاً .

وبقى أيضاً بالزيادة التى أنشأها عبد الرحمن كتحدا محراب من الرخام الدقيق على يساره قطعة مئمنة من الرخام مكتوب عليها بالخط الكوفي المربع : الله ، محمد ، وأسماء العشرة المبشرين بالجنة ، وكانت هذه اللوحة فى الأصل موجودة بمدفن عبد الرحمن كتحدا ، ثم نقلت الى جوار المحراب ، وهناك محراب آخر الى الجنوب من السابق وهو صغير ، وبالقرب منه محراب ثالث انشأته لجنة حفظ الآثار العربية لتركيب الكسوة الخشبية المملوكية التى كانت تغطى المحراب الفاطمي القديم .

وجدد عبد الرحمن كتحدا كذلك واجهة المدرسة الطيبرسية وجمع بينها وبين المدرسة الأقباوية بالباب الكبير المشرف على ميدان الأزهر وهو المدخل الرئيسى للجامع حالياً وسمى باب المزينين ، ويتكون من فتحتين كبيرتين يغلق على كل واحدة مصراعان ، وسجل فى أعلاه ابيات من الشعر تحوى تاريخ البناء بحساب الجمل ، وكان يعلو الباب كتاب ويجاوره من الجنوب منذنة لكنهما أزيلتا فيما بعد عند فك الباب وارجاعه قليلاً الى الوراء .

وأضيف رواق الشراقة شمالي المدرسة الجوهريّة على يد الشيخ الشرفاوى قبيل الحملة الفرنسية على

مصر .

وقد عانى الأزهر خلال الحملة الفرنسية وتم قصفه للقضاء على الثورات المتكررة التى قام بها المصريون وشارك فيها طلاب الأزهر وعلماءه.

واهتم الحكام خلال عهد أسرة محمد على بالجامع الأزهر ، فقد جدد باب الصعايدة زمن الخديو اسماعيل سنة ١٢٨٢هـ/١٨٦٠م ونقشت عليه أبيات من الشعر تحمل اسم اسماعيل والتاريخ بحساب الجمل. وفى عهد الخديو توفيق سنة ١٣٠٦/١٨٨٨م جددت أجزاء مهمة من ظلة القبلة الفاطمية ، والزيادة التى اقامها عبد الرحمن كتخدا ، وكذلك المدرسة الأقبغاوية ، ورواق السنارية ، وأضيفت أعمدة الى الظلتين الجانبيتين فأصبحت الأعمدة مزدوجة بعد أن كانت مفردة عند انشاء الجامع فى العصر الفاطمي.

كما أنشأ فيه الخديو عباس حلمى الثانى الرواق العباسي وكان شبيهاً بإدارة عامة للأزهر يضم إدارة الأزهر ومشيخته ومكتبته ومحفوظاته وقامت بهذه الأعمال لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م فبدأت بتجديد العقود المحيطة بالصحن على النسق الذى بناه الحافظ الفاطمي كما أرجعت باب المزينين الى الوراء - كما سبق ذكره - وذلك ليتماشى مع خط تنظيم الطريق ، واختيرت المدرسة الأقبغاوية لتكون مكتبة للأزهر وبقايا المدرسة الطبرسية ملحقة لها.

وهكذا توالى أعمال التجديد والاضافة والاصلاح بالأزهر منذ بنائه فى العصر الفاطمي وحتى الآن ، وأصبح يضم أجزاء وعناصر معمارية من جميع العصور الاسلامية التى مرت بها مصر ، وبلغت مساحته الحالية ١٢ الف متر مربع ، ويتكون من صحن أوسط مكشوف سماوي يحيط به أربع ظلات أكبرها وأعقها ظلة القبلة التى تتكون من قسمين الأول : الظلة الفاطمية القديمة . والثاني: الزيادة التى أحدثها عبد الرحمن كتخدا فى العصر العثماني. وما فيهما من عناصر معمارية وزخرفية سبق الحديث عنها.

وتقوم العقود على أعمدة رخامية يزيد عددها على ٣٨٠ عموداً بعضها من عمائر قديمة سابقة على الاسلام ، وتسير العقود التى تحمل السقف موازية للجدار بظلة القبلة والظلة المواجهة لها ، أما الظلتان الجانبيتان فتسير العقود عمودية على الجدران ، عدا البائكة المطلة على الصحن من الجهات الأربع فعقودها موازية للجدران.

ويحتوى الجامع على ثلاثة عشر محراباً ، بالاضافة الى المحاريب بالمدارس الملحقة به ، وكذلك على خمسة مآذن مملوكية وعثمانية الطراز .

وللجامع ثمانية أبواب : اثنان فى الواجهة الشمالية الغربية هما باب المزينين ، والباب العباسي. وفى الناحية الجنوبية الغربية ثلاثة أبواب هى: باب المغاربة ، وباب الشوام ، وباب الصعايدة. وفى الجهة الشمالية الشرقية باب الجوهريّة. وفى الجهة الجنوبية الشرقية (جهة القبلة) بابان هما: باب الحرمين ، وباب الشورية.

والحقيقة أن الجامع الأزهر كان يُعد عبر عصوره وخاصة من العصر المملوكى جامعة حقيقية تضم المدرسين والطلاب والباحثين ويجرى العمل فيه وفق نظام محدد ، وقد زادت هذه الأهمية التعليمية للأزهر فى العصر العثماني لذلك اتسع الجامع ووجدت به الزيادات والإضافات حتى وصل إلى حجمه الحالى ، ثم تحول الأزهر فى العصر الحديث إلى جامعة قائمة بذاتها .

المحاضرة الثالثة عمارة فاطمي - الفرقة الثانية شعبة اثار اسلامية د. احمد سعيد

جامع الحاكم بأمر الله

الموقع:

يقع هذا المسجد بالنهاية الشمالية لشارع المعز لدين الله ملاصقاً لسور القاهرة الشمالي ، بجوار باب الفتوح.

المنشئ وتاريخ الإنشاء:

ينسب هذا الجامع إلى الخليفة الحاكم بأمر الله ، مع أن الذي أمر بإنشائه هو أبوه الخليفة العزيز بالله في شهر رمضان سنة ٣٨٠هـ/ نوفمبر - ديسمبر ٩٠٠م ، كما يفهم من المقرئزي الذي ذكر أنه صلى وخطب فيه الجمعة مرتين الأولى في الرابع من شهر رمضان سنة ٣٨١هـ/ ١٤ نوفمبر ٩٩١م، والثانية أيضاً في شهر رمضان سنة ٣٨٣هـ/أكتوبر - نوفمبر ٩٩٣م.

كما يفهم من المقرئزي أيضاً أن أعمال البناء لم تكن قد انتهت في أيام العزيز بدليل أنه ذكر في حوادث سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م أن ابنه الخليفة الحاكم بأمر الله أمر أن يتم بناء الجامع، فقدر للنفقة عليه أربعون ألف دينار، وابتدئ العمل فيه ، وأشار كذلك إلى أن الخليفة الحاكم أمر في سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٣م بعمل تقدير ما يحتاج إليه الجامع من الحصر والقناديل والسلاسل ، ثم أذن في ليلة الجمعة سادس شهر رمضان سنة ٤٠٣هـ/ ٢١ مارس ١٠١٣م لمن بات في الجامع الأزهر أن يمضوا إليه فمضوا، وصار الناس طول ليلتهم يمشون في كل واحد، ولا اعتراض عليهم من عسس القصر ولا من أصحاب الطوف إلى الصبح ، وذكر كذلك أن الخليفة الحاكم صلى فيه بالناس صلاة الجمعة بعد الفراغ منه في السنة المذكورة ، كما روي أن الحاكم وقف على هذا الجامع عدة قياصر وأملاك في في شهر ذي القعدة سنة ٤٠٤هـ/ مايو ١٠١٤م، وأنه كان يعرف أولاً بجامع الخطبة، ثم صار يعرف بجامع الحاكم وبالجامع الأنور ، وقيل له أيضاً جامع باب الفتوح.

تاريخ الأثر:

شهد جامع الحاكم بأمر الله العديد من الإصلاحات والإضافات لعل أولها ما قام به بدر الجمالي وزير الخليفة المستنصر عند تجديده لأسوار القاهرة الشمالية في عام ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م فقد أصبح جامع الحاكم داخل تلك الأسوار بعد أن كان خارج مدينة القاهرة، والتصق الجدار الشمالي الشرقي منه فيما بين بابي الفتوح والنصر.

وفي ذي الحجة سنة ٧٠٢هـ/أغسطس ١٣٠٣م تزلزلت أرض مصر والقاهرة فتهدم الجامع الحاكمي وسقط كثير من الدعامات التي فيه وخرب أعالي المذنبتين، وتشعثت سقوفه وجدرانه، فانتدب السلطان الناصر محمد بن قلاوون الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير الذي نزل إليه بنفسه ومعه القضاة والأمراء وأمر برم ما تهدم منه وإعادة ما سقط من الدعامات فأعيدت ، وأقام سقف الجامع وبيضه حتى عاد جديداً وأوقف عليه عدة أوقاف بناحية الجيزة وفي الصعيد وفي الإسكندرية ، كما رتب فيه دروساً أربعة لإقراء الفقه على المذاهب

الأربعة ودرسًا للحديث النبوي ، وجعل لكل درس مدرسًا وعدة كثيرة من الطلبة ، وعمل فيه خزانة كتب جليلة ، وحفر فيه صهريجًا بصحن الجامع ليملاً في كل سنة من ماء النيل ، ويسيل فيه الماء في كل يوم ويسقى منه الناس يوم الجمعة ، حتى بلغ جملة ما أنفقته على الجامع زيادة على أربعين ألف دينار. ويفهم من النقوش الأثرية التي تعلو عقد المدخل الرئيسي للجامع أن الفراغ من تلك الأعمال تم في شهر ذي الحجة سنة ١٣٠٤هـ/ يوليو - أغسطس ١٣٠٤م.

وجدد الجامع مرة أخرى وبلط جميعه في أيام السلطان الناصر حسن في سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٩م، كما بيض مؤذنتيه شخص من الباعة يدعى ابن كرسون المرحلي سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٩م.

وفي القرن التاسع الهجري / الخامس عشر للميلاد، أضاف أحد الباعة مؤذنة ثالثة إلى الجامع أعلى الباب المجاور للمنبر، اكتملت في شهر جمادي الآخرة سنة ٨٢٧هـ/مايو ١٤٢٤م، بيد أنها اندثرت ولم يعد لها وجود، إذ تعرض الجامع ثانية للخراب إبان هذا القرن كما يفهم من رواية المقرئ الذي كتب يقول: "والجامع الآن متهدم وسقوفه كلها ما من زمن إلا ويسقط منها الشئ بعد الشئ فلا يعاد".

ويبدو أنه ظل كذلك حتى أدركته الحملة الفرنسية فاتخذت منه حامية ومن منارتيه برجين للمراقبة.

وفي سنة ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م جدد به السيد عمر مكرم نقيب الأشراف أربع بوائك جعلها مسجداً وكسى المحراب بالرخام وجعل بجواره منبراً.

ومع ذلك فقد صار الجامع في أوائل القرن الثالث عشرة للهجرة / التاسع عشر للميلاد مقراً لقوم من أهل الشام، أقاموا فيه منازل ومعامل لصناعة الزجاج ونسج الحرير.

وفي سنة ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م استخدم بقايا رواق القبلة كأول متحف للفن الإسلامي أطلق عليه اسم دار الآثار العربية جمعت فيه التحف الفنية التي كانت توجد في المساجد والمباني الأثرية، وبقيت هناك حتى نقلت إلى المبنى الحالي بباب الخلق الذي افتتح رسمياً في التاسع من شوال سنة ١٣٢١هـ/ ٢٨ ديسمبر ١٩٠٣م وتغير اسمه من دار الآثار العربية إلى متحف الفن الإسلامي في سنة ١٩٥٢م، وحل محله في الجامع مدرسة السلحدار الابتدائية.

وظل الجامع خرباً حتى قامت لجنة حفظ الآثار العربية بإصلاح دعامات وعقود النصف الجنوبي من ظلة القبلة ، كما أعادت بناء المجاز ونزعت الكسوة الرخامية التي وضعها السيد عمر مكرم على المحراب العتيق وأقامت لها محراباً حديثاً على يمين المحراب الفاطمي.

بقى أن نشير في النهاية إلى أن هذا الجامع قد شهد في العصر الحديث أكبر عملية ترميم وصيانة مرت به منذ إنشائه على أيدي طائفة البهرة التي رصدت له مبلغاً كبيراً من المال لإعادته إلى حالته الأولى التي كان عليها وقت تشييده في العصر الفاطمي وقد انتهت بالفعل من إصلاحه وافتتاحه للصلاة وإن كانت قد وقعت فيه بعض الأخطاء الفنية أثناء الترميم لانعدام الرقابة على ما تقوم به من أعمال.

التخطيط العام:

تخطط هذا الجامع يذكرنا بتخطيط الجامع الطولوني فهو عبارة عن مستطيل طوله ١٢١ متراً وعرضه ١١٣ متراً ، ويتكون من صحن أوسط مكشوف مستطيل الشكل ٧٨×٦٧.٥٥ متر تحيط به أربع ظلات أكبرها

ظلة القبلة التي تشتمل على خمس بانيات عبارة عن صفوف من العقود المدببة المحمولة على دعائم مستطيلة أركانها مستديرة على هيئة أعمدة ملتصقة تشبه دعائم الجامع الطولوني، وتسير موازية لجدار القبلة.

أما الظلة الشمالية الغربية فتشتمل على بلاطتين فقط موازية للجدار ، وأما الظلتان الجانبيتان فتشتمل كل منهما على ثلاث بلاطات موازية أيضاً للجدار.

الوصف المعماري:

يتميز هذا الجامع بجدرانه السمكية المشيدة بخليط من الحجارة والآجر فيما عدا الأجزاء الظاهرة من البوابة الشمالية الغربية، فهي من الحجارة المصقولة ، ويحتوى على ثلاثة عشر مدخلاً، خمسة بالواجهة الشمالية الغربية وثلاثة بالواجهة الشمالية الشرقية ومثلها بالواجهة الجنوبية الغربية ومدخلين بجدار القبلة الجنوبي الشرقي نجد بينها ثلاثة مداخل بارزة تتوسط الواجهات الثلاث عدا جهة القبلة ، يعيننا منها المدخل الرئيسي الذي يتوسط الواجهة الرئيسية الشمالية الغربية لأنه يُعد أقدم مدخل بارز في عمارة مصر الإسلامية ، وهو يتألف من برجين ضخمين من الحجارة المصقولة يبلغ طول كل منهما ثمانية أمتار، وعرضه ستة، ويبرز عن سمت جدران الواجهة المذكورة بحوالي ستة أمتار ، ويتوسطه ممر طويل يعلوه قبو نصف اسطواني، ويفضي إلى داخل الجامع عبر الظلة الشمالية الغربية.

ومن المعروف أن هذا النوع من المداخل البارزة منقول عن مسجد المهديّة بتونس الذي يرجع إلى أوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وسوف يظهر مرة أخرى في عمارة القاهرة في مسجد السلطان بيبرس البندقداري الذي ينسب إلى الفترة الممتدة من ٦٦٥-٦٦٧ هـ / ١٢٦٦-١٢٦٩ م.

ويتوصل من الباب الرئيسي الى الصحن الأوسط المكشوف والمجدد حديثاً وبوسطه فوارة من أعمال طائفة البهرة.

وكان يعلو واجهات الصحن صف من الشرفات الهرمية المدرجة، بكل واحدة منها خمس درجات يتوسطها فتحة صغيرة مدببة ، تقوم فوق شريط ضيق به عناصر زخرفية مفرغة تتألف من وريادات وأشكال مضلعة.

أما ظلة القبلة في الناحية الجنوبية الشرقية فيقطعها في الوسط مجاز مرتفع يمتد من الصحن إلى المحراب حيث ينتهي أمامه بقبة ، كما نجد في طرفي بلاطة المحراب الشرقي والجنوبي قبتين كما هو الحال في الجامع الأزهر، تقوم كل منها على أربع حنايا ركنية تشكل منطقة الانتقال من المربع إلى المثلث تحصر بينها أربع نوافذ معقودة ، أما رقبة القبة فقد زينت بثمانية شبابيك معقودة ، على حين زين مربع القبة بشريط من الكتابات الكوفية المورقة.

ويربط عقود الجامع بين الدعائم روابط خشبية ضخمة محلاة بنقوش نباتية ، كما فتحت في جدران الجامع نوافذ معقودة ، كانت جميعها مكسوة بستائر جصية يزينها زخارف هندسية ونباتية مفرغة ، وكان يحيط بكل نافذة إطار من كتابة كوفية بها آيات قرآنية.

المآذن: يكتنف المدخل البارز في الزاويتين الشمالية والغربية منارتين ضخمتين تم بناؤهما في شهر رجب سنة ٣٩٣ هـ / مايو ١٠٠٣ م في أيام الخليفة الحاكم بأمر الله كما يفهم من الكتابات الأثرية المنقوشة

على كل منهما ، والذي عاد في شهر صفر سنة ٤٠١هـ / سبتمبر - أكتوبر ١٠١٠م، وأمر بإحاطة كل منهما بكسوة خارجية من الحجارة بغرض تدعيمهما ، حيث تكون في كل منارة شكل مكعبين مدرجين ، الأسفل منهما بارز عن المكعب العلوي.

وترتفع الكسوة في المئذنة الغربية أربعة وعشرين مترًا فوق أرضية الشارع ، أما في المئذنة الشمالية فيصل ارتفاعها إلى ستة وعشرين مترًا أي بزيادة مترين فقط.

أما فيما يتعلق بالمنارتين الأصليتين فقد شيدتا بدورهما من حجارة مصقولة باستثناء الأجزاء العليا التي شيدت من الآجر بعد زلزال سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٣م الذي خرب أعالي المئذنتين.

هذا وتتكون المنارة الغربية من ثمانية طوابق مئذنة تتدرج في ارتفاعها تدرجًا ملحوظًا حتى تنكمش في الطابق الخامس الذي يعلوه طابقان مئذنان من الآجر، يلتف حول الثاني منهما صفان من المقرنصات، ويعلو هذا القسم الذي أضيف أثناء الإصلاحات التي قام بها بيبرس الجاشنكير قبة مضلعة، كما تتميز هذه المنارة بكثرة زخارفها النباتية والهندسية والكتابية ويصف من الشرافات التي تذكرنا بالجامع الطولوني.

وتتكون المئذنة الشمالية أيضًا من قاعدة مربعة يعلوها ثلاث طوابق اسطوانية مستديرة يقوم فوقها أربعة طوابق مئذنة من الآجر من بناء بيبرس الجاشنكير، يحيط بثلاثة منها صفوف من المقرنصات، ويتوج قمته أيضًا قبة مضلعة. وهذه المنارة تفوق المنارة الغربية طولاً، إذ يصل ارتفاعها إلى حوالي ستة وأربعين مترًا فوق سطح الأرض، أي بزيادة خمسة أمتار.

مشهد الجيوشي

الموقع :

يقع هذا المشهد أعلى قمة جبل المقطم ، فوق مشهد إخوة يوسف مباشرة ، لذا كان يشرف على منطقة القرافة الصغرى بالإمام الشافعي وعلى الجزء المطل على النيل من جهة مصر القديمة وعلى المراعي الخضراء المعروفة ببساتين الوزير.

ويرجع بعض الباحثين سبب اختيار بدر الجمالي لهذه البقعة هو رغبته في أن يدفن في موقع مرتفع حتى يشرف منه على قباب البنات السبع الأثيرة لديه.

المنشئ وتاريخ الانشاء:

أنشأه أمير الجيوش بدر الجمالي في المحرم سنة ٤٧٨هـ/ مايو ١٠٨٥م.

التخطيط والوصف العام:

يعرف هذا المشهد اليوم لدى العديد من الباحثين باسم مسجد الجيوشي ، مع أنه لا علاقة له بطراز المساجد الفاطمية المألوفة فهو عبارة عن بناء مستطيل الشكل طوله ثمانية عشر متراً وعرضه خمسة عشر متراً، يشتمل على ثلاثة أقسام رئيسية: كتلة المدخل، والصحن، وبيت الصلاة، وأضيف إليه في وقت لاحق بناء مستطيل الشكل يتوسط ضلعه الشمالي.

يشكل المدخل كتلة معمارية بارزة بالواجهة الشمالية الغربية ويشتمل بدوره على ثلاثة أقسام ، تشغل فتحة المدخل القسم الأوسط منها ، وهو يقع أسفل المئذنة مباشرة ويتألف من باب صغير معقود بعقد مدبب يعطوه لوحة رخامية تحتوى على خمسة أسطر بالخط الكوفي المزهر جاء فيها " ... مما أمر بعمارة هذا المشهد المبارك فتى مولانا وسيدنا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الأئمة الطاهرين وأبنائه الأكرمين وسلم إلى يوم الدين / السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين عضد الله به الدين وأمتع بطول/ بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته وكيد عدوه وحسدته ابتغاء مرضاة الله في المحرم سنة ثمان وسبعين وأربعمائة".

يؤدى باب الدخول إلى ممر مغطى بقبو يعطوه ممر آخر مسقوف بقبة صغيرة ترتكز على الجدران مباشرة بدون مثلثات كروية أو أية مناطق انتقال ، ويوجد على جانبي الممر غرفتان صغيرتان اليمنى بالجهة الغربية مكشوفة وتشتمل على درج سلم يفضي إلى سطح المشهد وإلى المئذنة ، أما اليسرى التي تشغل الزاوية الشمالية فهي مغطاة بقبو متقاطع وبها نافذة وكانت تشتمل على صهريج للمياه.

ويفضي هذا المدخل إلى القسم الثاني وهو عبارة عن صحن مكشوف مستطيل الشكل (٥.٦٠×٦.٤٥م) يكتنفه قاعتان مستطيلتان يعطو كلا منهما قبو نصف اسطواني، وينفذ إلى داخلهما بواسطة فتحتين معقودتين جهة الصحن اقتطع في وقت لاحق جزء من القاعة اليسرى وغطي بقبو مستعرض وفتح به باب في منتصف جداره الشمالي الشرقي لينفذ منه إلى المبنى المستطيل الذي أضيف لصق الجدار الشمالي الشرقي خارج المشهد ، وهو يشتمل بدوره على قسمين: قسم شمالي مستطيل يعطوه بقايا قبو وقسم شرقي مربع يعطوه قبة تقوم على حنيات ركنية يعتقد كريسول أنه خاص بأحد الأولياء الصالحين.

ويطل على الصحن من الجهة الجنوبية الشرقية بانكة ثلاثية العقود ، العقد الأوسط منها أكثر ارتفاعاً واتساعاً من العقدان الجانبيين ، والعقود من النوع المدب وترتكز على عمودين مزدوجين صنعا من الرخام لكل منها تاج ناقوسي على هيئة مشكاة وقاعدة ذات شكل مماثل لكنه مقلوب.

وتفتح هذه البلائكة على بيت الصلاة الذي يحتل أكثر من نصف مساحة المشهد، وهو مقسم الى بلاطتين بواسطة دعامتين كبيرتين تحملان ثلاثة عقود تسير في موازاة المحراب ، غطيت البلاطة الأولى من جهة الصحن بأقبية متقاطعة ، على حين يعلو بلاطة المحراب قبوان من نفس النوع يتوسطها قبة أمام المحراب ترتفع قمته اثني عشر متراً فوق الأرضية ، وترتكز على عقود من ثلاث جهات وعلى جدار القبلة من الجهة الرابعة ، ويحيط بمربعها شريط عريض من الكتابات الكوفية المزهرة ، يتوج أركانها أربعة حنيات ركنية معقودة لتحويل المربع الى مثنى تعلوه رقبة القبة ، ويعلو الرقبة قبة ملساء على شكل نصف كرة يتوسط قمته من الداخل كتابات قرآنية من سورة يس الآية ٣٩ "والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم" وفي الوسط نقش اسما محمد وعلي ثلاث مرات على شكل نجمة ذات ستة رؤوس.

وينتصف المحراب جدار القبلة الجنوبي الشرقي ويشكل بروزاً خارجي ، وهو من أجمل المحاريب الفاطمية ذات الزخارف الجصية ، ويعلو تجويفه عقد مدب يرتكز على عمودين لم يعد لهما وجود واستبدلا بعمودين جديدين في الوقت الحالي ، ويزينه شريطان من الكتابات الكوفية المزهرة بالإضافة الى نقوش نباتية بديعة.

وقد كسيت جدران القبلة وحنية المحراب في القرن الثاني عشر للهجرة / الثامن عشر للميلاد بزخارف جصية تتضمن نقوشاً نباتية رسمت باللون الأخضر تشبه زخارف البلاطات الخزفية العثمانية الطراز نجد بينها تاريخ سنة ١١٤٤هـ/١٧٣٢م تم إزالتها ومحوها في الترميمات الحديثة.

المنذنة: للمشهد منذنة رشيقة تعلو مدخله الشمالي الغربي شيدت من الآجر ترتفع عشرين متراً فوق سطح الأرض ، وتنقسم الى ثلاثة طوابق ، الأول مربع الشكل فتحت في واجهتيه نافذة وزينت قمته بإطار يضم صفيين من المقرنصات المبنية بالآجر وكسيت بالجص وتُعد أقدم مثال معروف في العمارة الإسلامية بمصر، يعلوه طابق ثان مربع أقل حجماً فتحت في كل واجهة من وجّهاته الأربع نافذة معقودة ، يعلوه طابق ثالث عبارة عن رقبة مثمّنة بكل ضلع من أضلاعها نافذة ذات عقد مدب ، ويتوج المنذنة قبة ملساء نصف كروية.

ومن خصائص هذا المشهد أن واجهتيه الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية زودتا بدعامات وتعلوها فوق السطح خلاوي صغيرة يغطيها قباب ملساء ، بقى اثنان منها في الجهة الجنوبية الغربية وهي مزودة من الداخل بمحاريب لتحديد اتجاه القبلة ، استند البعض إليها في محاولة تحديد طبيعة هذا المبنى الذي أقامه بدر الجمالي في هذه البقعة المنعزلة من جبل المقطم باعتباره مرقب حربي أو مأوى للزهاد.

بقى أن نشير أن تصميم هذا المشهد المعماري قد استوحى في العصر الحديث لتصميم ضريح أغا خان الثالث الذي أقامه المرحوم فريد شافعي في مدينة أسوان عام ١٩٥٩.

الجامع الأحمر

الموقع:

يقع الجامع الأحمر على يمين السالك إلى شارع المعز لدين الله بقرى حارة برجوان وجامع السلحدار. وكان مكانه علافون فتحدث الخليفة الأمر مع الوزير المأمون أبي عبد الله محمد بن مختار بن فاتك البطائحي في إنشائه جامعاً، فلم يترك أمامه دكاناً.

ويفهم من ابن زهير أيضاً أن هذا الموقع كان مكانه برية أي صحراء تعرف ببئر العظمة والعظام ، وهي بئر قديمة قبل ظهور الإسلام كانت في دير من أديرة النصارى ، فلما قدم جوهر بجيوش المعز لدين الله سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، أدخل هذا الدير في القصر، وهو موضع الركن المخلق ، وجعل البئر مما ينتفع به في القصر. وقد عرفت بهذا الاسم لأن جوهر نقل من الدير المذكور عظاماً كانت فيه من رمم قوم يقال إنهم من الحواريين ، فسميت بئر العظام ، والعامة تقول بئر العظمة.

المنشئ وتاريخ الإنشاء:

أنشأه الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله في سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م.

ويذكر ابن عبد الظاهر أنه لما كمل بناء الجامع في سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م ذكر اسم الأمر والمأمون عليه ، وهذه الرواية أكدتها النقوش الأثرية التي بقيت على الواجهة الغربية للمسجد.

كما يذكر المقرئ أن الخليفة الأمر اشترى له حمام شمول ودار النحاس بمصر وحبسهما على سدنته ووقود مصابيحهم ومن يتولى أمره ويؤذن فيه ، وبني تحته دكاكين ومخازن من جهة باب الفتوح أي في الجهة الشمالية الشرقية ، مما جعل المرحوم حسن عبد الوهاب يعتقد أنه من المساجد المعلقة رغم أنه منخفض حالياً عن مستوى أرضية الشارع ويفضي إليه مجموعة من الدرج ويتقدمه سور من الحديد.

أعمال التجديد والإصلاح:

شهد هذا الجامع العديد من أعمال التجديد والإضافة فقد روى المقرئ أنه في شهر رجب سنة ٧٩٩هـ / إبريل ١٣٩٧م قام الأمير يلغا بن عبد الله السالمي ، أحد المماليك الظاهرية بتجديده ، وأنشأ بظاهر باب البحر - أي الشمالي الغربي - حوانيت يعلوها طباق ، وجدد في صحن الجامع بركة لطيفة يصل إليها الماء من ساقية ، وجعلها مرتفعة ينزل منها الماء إلى من يتوضأ من صنابير نحاس ، ونصب فيه منبراً ، وجعل فوق المحراب لوحاً مكتوباً فيه ما كان فيه أولاً ، وذكر فيه تجديده لهذا الجامع ، ورسم فيه نعوته وألقابه.

كما روى أيضاً أنه بنى على يمين المحراب الأيسر بالواجهة الشمالية الغربية مئذنة ، وببيض الجامع كله ودهن صدره بلازورد وذهب وجدد حوض الجامع الذي تشرب منه الدواب وهو في ظهر الجامع تجاه الركن المخلق.

وفي سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م ولي نظر الجامع بعض الفقهاء ، فرأى هدم المئذنة بسبب ميل حدث بها فهدمها ، كما أبطل الماء من البركة لإفساد الماء بمروره بجدار الجامع القبلي.

ومع ذلك فإن من يتأمل المئذنة التي توجد على يسار المدخل الشمالي الغربي سوف يلاحظ أن الذي هدم منها هو علوها فقط لأن قاعدتها المستديرة ما تزال باقية حتى بداية الطابق الأول وهي تحتفظ بنقوشها الغربية وبصفوف من المقرنصات التي تلتف حولها ، أما الطابق الأول فمن الواضح أنه بناء حديث أضيف في تاريخ نجهله.

وجُدد الجامع الأقمر أيضًا في أيام محمد علي على يد سليمان أغا السلحدار في شهر شعبان سنة ١٢٣٦هـ/مايو ١٨٢١م ، وقد لاحظ فان برشم آثار هذه الأعمال على نفيس بعض العقود المطلة على الصحن.

كما عيّنت لجنة حفظ الآثار العربية بإصلاحه في سنى ١٣٢٠-١٣٤٧هـ/١٩٢٠-١٩٢٨م.

التخطيط العام والوصف المعماري:

هو جامع صغير صمم بحيث تتفق واجهته وتخطيط الشارع الذي يطل عليه ، إذ نجد أطرافه الخارجية غير منتظمة ، وواجهته الشمالية الغربية ليست في موازاة جدار القبلة الجنوبي الشرقي ، بسبب التقاء الشارعين اللذين أقيم الجامع على حافتيهما في زاوية حادة ، لذا عمد المعمار إلى ملء الفراغ الناتج بين الجدار الشمالي الشرقي والواجهة الشمالية الغربية بثلاث غرف ، واحدة على يمين المدخل واثنان على يساره.

الواجهة الرئيسية: تمتد واجهة المسجد الشمالية الغربية التي حفلت بالعديد من أنواع الزخارف النباتية والهندسية والكتابية ، بطول عشرين مترًا ، وارتفاع اثني عشر مترًا ، وهي من الحجارة المصقولة وتنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية ، الغربي منها كان متوارياً خلف منزل حديث البناء قامت إدارة حفظ الآثار العربية بنزع ملكيته منذ زمن بعيد ، لكن لم يهدم إلا مؤخرًا ، وتم إعادة بنائه على نمط القسم الشمالي الذي يمتد أيضًا بطول ٦.٤٢م ويزينه دخلة صماء مستطيلة الشكل يعلوها عقد مفصص يزينه صفان من المقرنصات ويملاً حشواته أضلاع مشعة أشبه بشمس مشرقة حول جامة مستديرة نقش بدائرها اسم محمد عدة مرات بالإضافة إلى اسم علي الذي يحتل مركز الجامة ، ويعلو هذا العقد طاقة مستديرة اندثرت زخارفها الجصية ، يكتنفها من اليمين واليسار نافذتان مستطيلتان تنوعت زخارفهما وصيغت النافذة اليسرى منهما على هيئة محراب يرتكز على عمودين ويتدلى من قمته مشكاة كأنها ترتل قوله تعالى : " ... مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ... " [النور: ٣٥] تعد أول مثال من نوعه في عمارة مصر الإسلامية ، ويوجد أسفل النافذتين في تواشيج العقد نقش لمعينين بهما زخارف نباتية.

وينتهي هذا القسم الأيسر من الواجهة الشمالية الغربية عند التقائه بالواجهة الشمالية الشرقية للمسجد بشطف يتوجه مقرنص من صفين كتب على جانبيه محمد وعلي ، وفي طاقاته "إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون" [النحل: ١٢٨] ، نجد نظيرًا له في الركن الغربي الذي سبق للمقريزي أن عبر عنه بالركن المخلوق ، وهو يعد أيضًا الأول من نوعه في العمائر الإسلامية في مصر ، وسوف نصادفه بعد ذلك بكثرة في العديد من العمائر الدينية.

أما القسم الأوسط من الواجهة فهو بارز عن سمت الجدران بحوالي ثلاثة أرباع المتر ويمتد ما يقرب من سبعة أمتار ، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام رأسية ، يقع المدخل في القسم الأوسط منها وهو عبارة عن

فتحة مستطيلة الشكل يعلوها عقد مستقيم يتألف من صنح معشقة نجد نظيرًا لها في بوابتي الفتوح والنصر، ويتوج قمته حنية صماء معقودة بعقد مدبب تملأ حشواته أضلاع مشعة كأنها شمس ينبثق النور من حولها ، يتوسطها جامة نقش بمركزها اسما محمد وعلي يحيط بهما شريط ضيق من زخارف نباتية ، يليه شريط آخر من كتابات قرآنية بالخط الكوفي نصها: " بسم الله الرحمن الرحيم ... إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيراً". [الأحزاب: ٣٣]، يحيط بها حلقة ثالثة تضم بدورها زخارف نباتية مفرغة ، على حين يزين كوشتي العقد زهرة متعددة الشحومات.

يكتنف هذا القسم الأوسط قسمان متماثلان نجد في القسم الأسفل منهما حنية أشبه بمحراب يعلوها عقد على هيئة محارة أو شمس مشعة ، يعلوها إطار مستطيل الشكل به أربعة صفوف من المقرنصات الحجرية ، تعد الأولى من نوعها بعد مقرنصات مئذنة الجيوشي المشيدة من الآجر والجص ، يعلوه حنية أخرى يكتنفها عمودان رشيقان ويتوجها عقد مدبب به محارة أو شمس صغيرة.

ولعل الهدف من وراء نقش هذه الشموس أن تعبر عن قوله تعالى: { ... جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً ... } [يونس: ٥] إذ تضم هذه الواجهة سبعة أشكال مختلفة الأحجام منها.

وتضم هذه الواجهة أيضًا ثلاثة أشرطة من الكتابات الكوفية المزهرة تمتد عليها أفقيًا من أولها إلى آخرها ، الأول أسفل العقد المستقيم الذي يعلو المدخل ، والثاني فوق العقد المستقيم والثالث فوق قمة الواجهة ويستمر في امتداده حول الواجهة الشمالية الشرقية إلى مسافة تبعد أحد عشر مترًا ونصه " بسم الله الرحمن الرحيم مما أمر بعمله ... فتى مولانا وسيدنا الإمام الأمر بأحكام الله ابن الإمام المستعلي بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليهما وعلى آبائهما الطاهرين وأبنائهما الأكرمين تقريبًا إلى الله الملك الجواد ... آمين ... السيد الأجل المأمون أمير الجيوش سيف الإسلام وناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاء (كذا) المؤمنين أبو عبد الله محمد الآمري عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته في سنة تسع عشرة وخمسمائة".

المسجد من الداخل: يشكل تخطيط الجامع من الداخل مستطيلًا منتظم الأضلاع ، طوله ٢٨ مترًا وعرضه ١٧.٣٤ مترًا ، يضم صحنًا أوسط مكشوفًا تبلغ مساحته ١٠.١٧ × ٩.٧٠ م. يحيط به أربع ظلات تطل كل منها على الصحن بواسطة بائكة ثلاثية العقود من النوع المنفرج ، تقوم على عمودين في الوسط ودعامتين في الأركان.

وكان يزين حافة البائكة شريط من الكتابات القرآنية ، نقش بالخط الكوفي المزهر، في الوقت الذي زينت فيه تواشيح العقود بجامات تضم وريدات متعددة الفصوص.

وتعد ظلة القبلة أكبر ظلات المسجد إذ تتألف من ثلاث بلاطات تفصلها بائكتان ، تشتمل كل منها على خمسة عقود موازية لجدار القبلة ، تقوم على أربعة أعمدة قديمة ذات تيجان كورنثية الشكل ، أكثرها اتساعاً بلاطة المحراب التي يغطيها سقف خشبي مسطح ، وتنتهي في الركن الشرقي بقاعة مستطيلة (٣×٥ م)، ويرجح أنه كان يفصلها عن بقية الرواق مقصورة خشبية ما تزال آثار قوائمها باقية في قواعد الأعمدة.

أما البلاطتان الثانية والثالثة فقد قسمت كل منها من أعلى إلى خمسة مربعات بواسطة عقود موازية وعمودية على جدار القبلة ، يعلو كل مربع قبة ضحلة تقوم على مثلثات كروية باستثناء المربع الأوسط في البلاطة الثانية الذي كان يشغله فتحة مربعة للإضاءة أمام المحراب الذي يتوسط جدار القبلة.

والمحراب مكسو برخام دقيق ملون ويعطوه لوحة رخامية تسجل الأعمال التي قام بها الأمير يلبيغا السالمي في الجامع عام ٧٩٩هـ/١٣٩٧م نصها : "بسم الله الرحمن الرحيم فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض ... " [الروم: ٥٠] أمر بعمل المنبر والمئذنة وغيره بعد اندراسه في أيام مولانا السلطان الملك الظاهر أبي سعيد برقوق حرس الله نعمته العبد الفقير إلى الله تعالى أبو المعالي عبد الله يلبيغا السالمي الحنفي الصوفي الظاهري لطف الله به في الدارين وجعله ... في شهر رمضان المعظم سنة تسع وتسعين وسبعمائة وكان بنى هذا الجامع على أيام الخليفة الأمر بأحكام الله ابن المستعلي في سنة تسع عشرة وخمسائة من الهجرة النبوية".

والى يمين المحراب يوجد منبر من الخشب يرجح أنه من بقايا المنبر الفاطمي ، وإن كان يعطوه لوحة خشبية جاء فيها ما يلي: "وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن ولا كبره تكبيرًا [الإسراء: ١١١] أمر بعمل هذا المنبر في أيام مولانا السلطان الملك الظاهر برقوق نصره الله غرس نعمته العبد الفقير إلى الله تعالى عبد الله يلبيغا السالمي الحنفي الصوفي الظاهري لطف الله به في الدارين آمين في شهر رمضان المعظم سنة تسع وتسعين وسبعمائة".

أما فيما يتعلق بباقي الظلات ، فتتألف كل منها من بائكة واحدة تحمل عقوداً موازية وعمودية على الجدار في الظلتين الجانبيتين ويسقفها ثلاث قباب ضحلة ، ومثلها في الظلة المقابلة لظلة القبلة ويعطوها خمس قباب من نفس النوع.

وظاهرة تغطية الظلات هنا بقباب ضحلة تقوم على مثلثات كروية سبق أن شوهدت للمرة الأولى في مشهد آل طباطبا وفي بابي الفتوح والنصر وفي مشهد إخوة يوسف.

ويلفت النظر في الظلة الشمالية الشرقية أنه جعل على امتداد جدرانها الداخلية دخلات أو تجاويف تزداد فسحة واتساعاً كلما اقتربنا من جدار القبلة الذي ينتهي عند بلاطة المحراب بغرفة مستطيلة الشكل كما سبق أن أوضحنا من قبل ، وذلك تجنباً للانحراف في الجدار الشمالي الشرقي للمسجد ، نجد نظيراً لها على طول امتداد الجدار الجنوبي الغربي ولكن أصغر حجماً.

جامع الصالح طلائع

الموقع:

يقع بشارع الدرب الأحمر أمام باب زويلة في أحد المواضع التي عمرت في زمن الخلفاء الفاطميين خارج باب زويلة.

المنشئ وتاريخ الإنشاء:

أنشأه الملك الصالح طلائع بن رزيك أبو الغارات وزير الخليفة الفاطمي الفائز بنصر الله في سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م ليُدفن فيه رأس الحسين رضي الله عنه ، بعد أن خيف على مشهده الذي بعسقلان من استيلاء الفرنج عليها ، إلا أن الخليفة لم يمكنه من ذلك وقال لا يكون إلا داخل القصور الزاهرة ، وبنى خصيصاً المشهد الموجود الآن.

ولما تم بناء الجامع جعل فيه صهريجاً عظيماً خصص له ساقية على الخليج بالقرب من باب الخرق تملؤه بالماء أيام فيضان النيل.

ومع ذلك فإن الجامع لم يستخدم لصلاة الجمعة إلا في أيام السلطان المملوكي عز الدين أيبك في سنة ٦٥٤م/١٢٥٤م.

أعمال التجديد والإصلاح:

يستشف من النصوص التذكارية المنقوشة فوق المنبر ومن الكتابات النسخية على النافذة التي على أقصى يسار المحراب أن الأمير بكتمر الجوكندار قام بعمارة الجامع في شهر جمادي الآخر سنة ٦٩٩هـ/ فبراير - مارس ١٣٠٠م أي قبل زلزال سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٣م بما يقرب من أربع سنوات على عكس ما رواه المقرئ الذي ذكر أنه : " لما حدثت الزلزلة سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٣م تهدم الجامع فعمر على يد الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار".

ولعله عمر مرة ثانية بعد الزلزال على يد الأمير المذكور وإن كان ينقصنا الدليل المادي على ذلك.

كما جدد مرة أخرى في سنة ٨٤٤هـ/١٤٤٠م على يد رجل من الباعة يقال له عبد الوهاب العيني وإن كنا نجعل طبيعة الأعمال التي قام.

وجدد كذلك في أيام السلطان الأشرف قايتباي سنة ٨٨٢هـ/١٤٧٧م، وكانت الأرض قد ارتفعت عن منسوب باب زويلة وعن هذا الجامع فقام الأمير يشبك من مهدي دواودار السلطان بالكشف عن عتبة باب زويلة وعن سلم الجامع فانكشفت الدرجات التي كانت مردومة وعدتها عشر ، كما كشف عن أبوابه وظهر منه عواميد رخام فجلاهم ونعمهم ، وأزال ما كان يواجهته من ربوع وحوانيت من بينها ريع لخوند شقراء ابنة الناصر فرج بن برقوق ، وأجرى به إصلاحات عديدة.

ومع هذا فقد أدركت لجنة حفظ الآثار العربية هذا الجامع في حالة سيئة للغاية، فالدكاكين أسفلته احتجبت تحت الأرض وأقيمت المنازل والدكاكين بداخله ولصق واجهاته فأخفتها ، كما تهدمت الأروقة حول الصحن ولم يبق منها سوى رواق القبلة ، فوضعت برنامجاً شاملاً لتخليته منذ سنة ١٩١١ ، واستطاعت في سنة ١٩١٥ أن تسير في نزع ملكية هذه المنشآت ، وأعيدت الأرض إلى مستواها ، وظهرت الدكاكين أسفل الجامع وعمل أمامها خندق ، كما هدمت المنازل فانكشفت الواجهتان ففكنا وأعيد تركيبهما واستكمل الناقص منهما على قدر الإمكان ، كما تم كشف سلم الجامع القديم بوسط الواجهة الشمالية الغربية وتم إعادة بناء السقفة التي تتقدم الواجهة المذكورة.

التخطيط والوصف العام:

يعد هذا الجامع آخر الجوامع التي شيدت زمن الخلافة الفاطمية ، كما يعد أول جامع مغلق في مصر الإسلامية له أربع واجهات حجرية ، شيد أسفل ثلاث منها عدا جهة القبلة مجموعة من الحوانيت يبلغ ارتفاعها ٣.٨٠ متر ، يتوجها شريط زخرفي يضم عناصر شتى نجد نظيراً لها في المنارة الغربية لجامع الحاكم بأمر الله ، ويسقفها أقبية متقاطعة.

أما أرضية الجامع فترتفع فوق هذه الحوانيت بمقدار نصف متر عن مستوى الشارع في الوقت الذي تسمو فيه جدران المسجد إلى ارتفاع ١٤.٧٥ متر، فيما خلا الشرفات التي كانت تتوج أعلاها وهي تتألف من طابقين الأول مسطح ارتفاعه متر والثاني مدرج ارتفاعه متر وبضعة سنتيمترات.

الواجهات: تعد الواجهة الشمالية الغربية أهم واجهات المسجد إذ يتوسطها المدخل الرئيسي الذي أقيم أمامه سقيفة تنتهي في طرفيها الشمالي والجنوبي بغرفتين. وهي تطل على الطريق بواسطة بائكة تتألف من أربعة أعمدة رخامية ذات قواعد مرتفعة ، يعلوها خمسة عقود منفرجة ، نقشت إطاراتها بزخارف هندسية وزينت تواشيحها بصرر دائرية ، ويسقفها سقف خشبي منقوش بزخارف فاطمية الطراز عثر على بقايا منها أثناء عمارة الجامع في العصر الحديث فأكمل الباقي على نمطه ، ويزين صدر هذه السقيفة وجانبيها زخارف على هيئة أشكال محارية تشع ضلوعها حول جامة مركزية ، وتنتهي الأضلاع بفصوص يلتف حولها عقد منفرج يزينه إطار من زخارف هندسية ، على حين تحتل تواشيحه جامات دائرية.

وكان هذا المدخل يغلق بواسطة باب من الخشب ، محفوظ حالياً في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة يتألف من مصراعين مصفحين بالنحاس المنقوش بأطباق نجمية مفرغة على حين نقش خلفهما بحشوات مستطيلة قائمة وعمودية زينت بزخارف نباتية محفورة حفراً عميقاً، وهو من أقدم الأبواب المصفحة بالنحاس في مصر الإسلامية ، وقد عمل الباب الحالي على نمطه.

ويعلو نهاية هذه الواجهة شريط من الكتابات الكوفية المزهرة نصها : "بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا المسجد [بالقاهرة] هرة المعزية المحروسة فتى مولانا وسيدنا الإمام عيسى أبي القاسم الفائز بنصر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين [وأبنائه الأكرمين الس]يد [الأجل] الملك الصالح ناصر الأئمة وكاشف الغمة أمير الجيوش سيف الاسلام غياث الأنام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين [أبوا] لغا [رات] طلائع الفائزي عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته ونصر ألويته وفتح له وعلى يديه مشارق الأرض ومغاريها في شهور سنة خمس وخمسين وخمسائة والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أفضل الوصيين ...".

وكان يعلو المدخل الشمالي الغربي مئذنة سقطت في سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٣م وشيدت أخرى عوضاً عنها، لكنها سقطت بدورها في أكتوبر ١٩٢٣.

ولجامع الصالح مدخلان آخران ، ينتصف أحدهما الواجهة الشمالية الشرقية ، على حين ينتصف الآخر الواجهة الجنوبية الغربية في مقابله تماماً ، وكلاهما يبرز عن سمت الجدران بحوالي ٩٠ سم ويتوجه من أعلى عقد منفرج فتحت في داخله نافذة معقودة ، ويربطه بالمسجد معبرة فوق الحوانيت السفلية كما هو الحال بالنسبة للمدخل الرئيسي الذي يفضي إلى داخل الجامع عن طريق ممر مسقوف بقبو أسطواني مشيد من الحجارة.

المسجد من الداخل: الجامع من الداخل عبارة عن مستطيل طوله ١٦.٦٠ متر وعرضه ٢٥.٨ متر، يتوسطه صحن مكشوف ٢٣.٤٣ × ١٨.٧٠ م، كان يوجد أسفله صهريج كبير.

يحيط بالصحن أربع ظلات تتألف كل منها من بلاطة واحدة فيما عدا ظلة القبلة التي تشتمل على ثلاث بلاطات موازية لجدار القبلة ، وهي تطل على الصحن بواسطة بائكة معقودة يحتل تواشيحها حنية محارية على هيئة محراب ، في حين يعلو قمة كل عقد جامة بها وريدات متعددة الشحومات ، على عكس العقود الداخلية التي نقشت أطرافها من الداخل والخارج بأشرطة من الكتابات القرآنية بالخط الكوفي المزهر، وفتحت في تواشيحها صرر زخرفية فرغ وسطها بأشكال هندسية ونباتية متنوعة ، كما يعلو قمة كل عقد نافذة مربعة يغطيها ستائر جصية مفرغة بأشكال نباتية من وجهيها ، وتقوم هذه العقود فوق طبالي خشبية يزين الأجزاء الظاهرة منها زخارف نباتية موزقة نجد نظيراً لها على الأوتار أو الروابط الخشبية التي تربط العقود ببعضها البعض والتي تذكرنا زخارفها بأسلوب الحفر على الخشب إبان العصر الفاطمي.

ويمتصّف جدار القبلة محراب مجوف تسوده البساطة يتصدره عمودان من الرخام الأحمر ويعلوه عقد منفرج بداخله طاقية من الخشب المنقوش بزخارف ملونة من المرجح أنها حلت محل الكسوة الرخامية المتعددة الألوان التي شاهد بريس دافن أجزاء منها في عام ١٨٧٧م في الزاوية اليسرى من المحراب ووصلنا بالفعل قطعة منها.

المنبر: وعلى يمين المحراب يقوم منبر من الخشب ، صنعت ريشته أي جانباه ، من حشوات مجمعة على شكل أطباق نجمية مطعمة بالصدف والعاج والأبنوس بها زخارف نباتية محفورة غاية في الدقة والإبداع ، يعلو بابيه لوحة خشبية بها نص تذكاري يتألف من سطرين نقشاً بخط الثلث المملوكي نقراً فيها : "أمر بعمارة هذا المنبر المبارك ابتغاء لوجه الله الكريم المقر العالي الأميري الكبير السيدي سيف الدين مقدم الجيوش بكتمر الجوكندار المنصوري السيدي أمير جندار الناصري وذلك بتاريخ شهر جمادي الآخر سنة تسع وتسعين وستمئة رحم الله من كان السبب".

كما نقش على جلسة الخطيب النص التالي: "إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون. أمر بإنشاء هذا المنبر المبارك الجنب العالي الأميري الكبير سيف الدين بكتمر الجوكندار أمير جندار وذلك بتاريخ سنة تسع وتسعين وستمئة".

وقد حل هذا المنبر محل المنبر الفاطمي الذي يرجح البعض أنه كان طرفة نادرة ، كما يستشف من زخرفة الأخشاب الفاطمية الباقية بالجامع ، وكما يستشف من منبر الصالح طلائع بالمسجد العمري بقوص ، ومن المقصورة الخشبية التي كانت تغطي واجهة رواق القبلة وذكر بريس دافن أنها كانت مصنوعة من خشب الخراط المنقوش بزخارف نباتية محفورة.

وظلة القبلة مزودة أيضاً بملقف عبارة عن فتحة مستطيلة الشكل يزينها إطار من الزخارف الجصية المحفورة بعناصر نباتية دقيقة ، نفذ فيما بين رأس المحراب والنافذة المجاورة له فوق الموضع المخصص لظهر المنبر، لعله كان يستخدم لترطيب الهواء على الخطيب أو يجلب له مزيداً من الضوء أثناء النهار، وهو يعد الأول من نوعه في عمارة القاهرة الدينية ، وقد وجد نظير له فيما بعد في عمارة العصرين الأيوبي والمملوكي في كل من المدرسة الكاملية ومدرسة الناصر محمد وخانقاه ببيبرس الجاشنكير.

ويحيط بجدران الجامع الداخلية مجموعة من النوافذ العلوية نجد سبعة منها في جدار القبلة وتسعاً في كل من الجدارين الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي يستدل من بقايا بعضها في ظلّة القبلة أنها كانت جميعاً معقودة بعقود مدبية يحيط بكل منها شريط من الكتابات الكوفية المزهرة ، ويغطيها ستائر جصية مزدوجة مفرغة بأشكال زخرفية متنوعة يحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة بأحد أمثلتها ، على عكس النافذة التي تعلو المحراب والتي يحيط بها إطار مستطيل الشكل ، والنافذة التي توجد في أقصى الجنوب إلى يسار المحراب التي استبدلت ستاريتها الجصية بسبعة سطور من الكتابات النسخية.

في النهاية: بقى أن نشير إلى أنه ظهر في عام ١٩٤٥م أثناء هدم أحد المنازل الملاصقة للجامع عن بقايا أبنية متصلة بالنهاية الشرقية للواجهة الشمالية الشرقية كانت مختفية خلف المنزل المذكور، وهي من نفس طراز الواجهة وتمتد في اتجاه الشمال وتضم باباً كبيراً يناظر في التفاصيل أبواب الجامع كما عثر على بقايا نقش كتابي مدون بالخط الكوفي أعلى هذا الجدار نصه : " بسم الله الرحمن الرحيم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والأصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار. أمر بإنشاء هذا المسجد المبارك فتى مولانا وسيدنا عبد الله أبو محمد" ... ويتوقف النص عند نهاية فتحة الباب الذي نقش حول عقده المستقيم النص التالي: " بسم الله الرحمن الرحيم ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ إخواناً على سرر متقابلين ، لا يمسه فيها نصب وما هم منها بمخرجين".

وفي محاولة لتفسير وجود تلك المباني ذكر المرجوم حسن عبد الوهاب أنها تمثل بقايا المشهد الذي أقامه الصالح طلائع لاستقبال رأس الحسين استناداً إلى أن الآية الشريفة المنقوشة على الباب المذكور : {ادخلوها بسلام آمنين} كثيراً ما تدون على مداخل المدافن، واستناداً إلى ما ذكره المؤرخ ابن دقماق من أن الصالح طلائع هو الذي بنى جامع الصالح بظاهر باب زويلة ، وبنى مشهد الحسين عليه السلام في سنة ١١٥٣هـ/١١٥٨م ، كما دلت على وجهة نظره هذه بأن المسقط الأفقي الذي رسمه بريس دافن للجامع يشتمل على بابين في طرفي القبلة ، كانا يوصلان على حد زعمه إلى المشهد المذكور.

مشهد السيدة رقية

الموقع:

يقع هذا المشهد بشارع الأشرف ، بحى الخليفة ، ويذكر على مبارك أنه كان يقع بجوار البوابة الموصلة إلى السيدة نفيسة بالقرب من جامع شجرة الدر .

المنشئ:

ينسب هذا المشهد إلى السيدة رقية بنت الإمام علي بن أبى طالب ، وقد أقيم كمشهد من مشاهد الرؤيا - بما يتماشى مع المذهب الشيعي - حيث لم يثبت أن السيدة رقية قد حضرت إلى مصر أو دفنت بها . وقد بني هذا المشهد الشيخ أبو تراب وكيل السيدة علم الأميرة .

تاريخ الإنشاء:

٥٢٧ هـ ١١٣٣ م

التخطيط العام والوصف المعماري:

المشهد مستطيل الشكل ، يتكون من مربع أوسط أبعاده ٥ × ٥ م تحيط به مساحتان مستطيلتان ٢,٨٠ × ٥ م بكل من الضلعين الجنوبي الغربي والشمالي الشرقي، ويتوسط صدر المربع الأوسط محراب خشبي يرجح عمله فيما بين ٥٤٩ هـ - ٥٥٥ هـ / ١١٥٤ - ١١٦٠ م وهو عبارة عن حنية نصف دائرية تتقدمها دخلة ترتكز على عمودين مستديرين . وقد زخرفت طاقية المحراب بزخارف مشعة حدد إطارها بزخرفة مجدولة يتوسطها كتابة كوفية نصها: (محمد وعلي) ، ويحيط بالمحراب شريط كتابي بالخط الكوفي .

يعلو المربع الأوسط قبة مفصصة بها أربع وعشرون ضلعاً يتوجها هلال ، وترتكز القبة على رقبة مثمنة فتحت بها ستة عشر نافذة ذات زخارف جصية . ويتوسط المربع الأوسط - تحت القبة - الشاهد والذي يشير النص المكتوب عليه إلى أن الجهة الكريمة الأمرية أمرت بعمله على يد السني أبو تراب حيدرة بن أبي الفتح .

ويتصدر كل غرفة من الغرفتين الجانبيتين محراب ، كل منهما عبارة عن حنية نصف دائرية زخرفت طاقيتها بزخارف مشعة تحوي لفظ الجلالة بالخط الكوفي . يتقدم المشهد من الجهة الشمالية الغربية رواق يطل على الخارج ببائكة من ثلاثة عقود مدببة تنتهي بخط مستقيم، وترتكز على أعمدة مستديرة مزدوجة ومن الجانبين على الجدران ، ويوجد بصدر هذا الرواق وعلى جانبي باب المدخل محرابان، كل منهما عبارة عن حنية نصف دائرية زخرفت طاقيتها بزخارف مشعة يحيط بها إطار من الزخارف الكتابية والهندسية .

ويعتقد أن هذا المبنى كانت تتقدمه مساحة مستطيلة عبارة عن صحن مكشوف تحيط به غرفتان مستطيلتان ، إلا أن هذه المساحة المبنية لم يعد لها وجود .

وعند تحليل المسقط الأفقي نجد أن الفراغ الأوسط أمام المحراب قد تم تأكيده عن طريق استعمال تغطية مخالفة للفراغات الجانبية حيث غطي الفراغ الأوسط بقبة بينما استعملت القبوات المتقاطعة على الجانبين ، وغطي الرواق الأمامي بسقف خشبي محمول على براطيم خشبية .

وقد تم الفصل بين الفراغ الداخلي للمشهد والخارج بعمل صالة مستطيلة تطل على الخارج مما يعمل على تدرج الانتقال من الفراغ الخارجي نحو الفراغ الداخلي ، كذلك تم تأكيد المدخل الرئيسي للمشهد والواقع على المحور الرئيسي المار بالمحراب باستخدام الأعمدة المزدوجة واتساع العقد الأوسط عن العقد الجانبيين ، كما استخدم نفس الأسلوب في تأكيد مداخل الفراغات الجانبية عن يمين ويسار الشاهد مما يشكل وحدة في تشكيل الفراغات الداخلية والخارجية .

ويلاحظ تماثل التشكيل الداخلي لحائط المحراب وحائط المدخل المقابل له وإن كان قد استخدم فيه عمود مفرد بدلاً من العمود المزدوج.

أما الواجهات الخارجية فهي بسيطة تماماً وخالية من الزخارف يعلوها شرفات، وقد تم إبراز موضع المحراب الأوسط على الواجهة الجنوبية الشرقية.

وقد استخدم الطوب المحروق (الآجر) في بناء الحوائط والأسقف المقبية ، كما استخدم الخشب في تسقيف الرواق الأمامي .

١- المباني الدينية:

انتشرت في العصر الفاطمي ظاهرة إقامة الخلفاء للمساجد بعد أن أصبحت القاهرة حاضرة الخلافة الفاطمية .

وبعد إقامة المساجد الجامعة الكبيرة الأولى أقيمت مساجد أصغر في المساحة . وكان التصميم الغالب للمسقط الأفقي للمسجد مستطيل الشكل عبارة عن صحن تحيط به أربع ظلات أكبرها ظلة القبلة والتي تضم محراباً مجوفاً ومنبراً وتتكون من عدة أروقة . ويلاحظ في مسقط الأمثلة الأولى الأكبر حجماً أن طول ظلة القبلة الموازي للقبلة أكبر من الضلع العمودي عليها.

وفي الأمثلة الأولى كان يعلو البلاطة الأولى بظلة القبلة ثلاث قباب اثنتان بالأركان وواحدة تعلو المحراب إضافة لمجاز قاطع يقطع عقود ظلة القبلة ويواجه المدخل ويؤدي مباشرة إلى المحراب كما في جامع الحاكم .

وقد أكدت المداخل في العصر الفاطمي بدءاً من مسجد الحاكم الذي برز فيه المدخل عن سمت الحائط ، مروراً بمشهد الجيوشي والذي أكد مدخله بوضع المنذنة فوقه ، فالجامع الأقمر حيث وضع المدخل في قوصرة عميقة لأول مرة ، وصولاً إلى مسجد الصالح طلائع الذي عمل له مدخل جاذب يتوسط رواقاً خارجياً (سقيفة). ويقع المدخل الرئيسي عادة على محور المدخل / المحراب ، أما المدخلان الجانبيان فلم يرتبطا عادة بمحاور الكتلة ولكن بمحاور الصحن . ويتم الانتقال من الفراغ الخارجي إلى فراغ المسجد مباشرة ، وإن كان الانتقال من الفراغ الخارجي المكشوف إلى الفراغ الداخلي المكشوف - الصحن - يتم عبر الأروقة .

بدأ الاهتمام بالواجهات الخارجية بصورة كبيرة في العصر الفاطمي من الجامع الأقمر ، حيث بدأ في استخدام المقرنصات والقوصرات الطولية في الواجهات إضافة لاستخدام الخط الكوفي المزهر والزخارف النباتية المورقة والتي استخدمت كذلك في تشكيل الواجهات الداخلية ، إضافة للعقود المدببة التي زخرفت كوشاتها بصرر زخرفية كما في الجامع الأزهر .

وأصبحت المآذن عنصراً أساسياً في التشكيل وكانت تقع في أركان المسجد بداية - كما في الجامع الحاكم - ثم أصبحت تعلو المداخل كما في مسجد الجيوشي والجامع الأقمر.

وقد ظهرت في العصر الفاطمي الأمثلة الأولى للمساجد المعلقة التي تعلو الحوائط مثل مسجد الصالح طلائع.

كما استخدمت عناصر معمارية لمواءمة الظروف المناخية مثل الملقف الذي استخدم كوسيلة للتهوية في المسجد لأول مرة بجامع الصالح طلائع أعلى مقعد الخطيب خلف المنبر .

واستخدمت العقود المدببة في البناء والأعمدة الرخامية المجلوبة من مباني قديمة.

واستخدم الآجر في البناء داخل المسجد ، والحجر في الواجهات والخشب بالأسقف وبالأوتار الرابطة بين الأعمدة . وكل المواد المستخدمة مواد من البيئة وتعطي عزلاً حرارياً للمبنى.

وقد تميزت المساجد في العصر الفاطمي ، إضافة للصدق في التعبير عن أسلوب ومواد الإنشاء ، بالبساطة في التعبير والتشكيل في الواجهات الخارجية والداخلية . وانتشر في هذا العصر بناء القباب فوق القبور ، وإقامة مشاهد الرؤية.

٢- المباني الحربية :

عندما أنشأ جوهر الصقلي القاهرة أحاطها بأسوار من الطوب اللبن وأقام لها البوابات ، وعندما قام بدر الدين الجمالي بتوسعة القاهرة وإعادة بناء أسوارها قام ببناء الأبواب الدفاعية الكبرى الباقية (النصر ، الفتوح ، زويلة) . وتحليل المساقط الأفقية لهذه الأبواب ، نجد التنوع في التصميم باستخدام الأبراج المربعة أو نصف الدائرية . وكل باب مكون من برجين مربعين أو نصف دائريين بينهما باب المدخل الذي تعلوه عدة عقود مختلفة تتتابع فوق بعضها البعض مما يزيد من متانة البناء . ووضعت غرف الجنود أعلى الأبراج وكذلك الفتحات ومزاغل السهام ، أما الأجزاء السفلية من الأبراج فهي مصممة.

وقد استخدمت الأحجار المصقولة المنحوتة جيداً في البناء ، ولزيادة قدرة الباب الدفاعية ربط بين الجدران بأعمدة مستديرة وضعت أفقياً . أما بالنسبة للتشكيل فقد استعملت العقود والأعتاب والقوصرات غير العميقة بشكل زخرفي بسيط ، كما ساعد توزيع الفتحات ومزاغل السهام والشرافات والدروى في التشكيل وإعطاء البناء - إضافة للحجر - شكلاً يوحى بالقوة اللازمة لمثل هذه المباني الدفاعية.

ويقوم تصميم هذه الأبواب على العلاقة بين المربع والدائرة والمستطيل الذهبي، وتميز بناؤها بالصدق في التعبير عن الأسلوب الإنشائي من مواد البناء المجلوبة من البيئة المحيطة . ويعتقد أن استخدام الأحجار المجلوبة من مباني قديمة في البناء يعود للرغبة في توفير التكلفة .

